أهمية سفر التكوين

في الحياة المسيحية

مجموعة مقالات بحثية
للدكتور جيسون لايل.

أهمية سفر التكوين

By Dr. Jason Lisle

نقلها إلى العربية: جاك قازنجيان.

الإهداء

إلى ذاك الإنسان الصادق الذي لامسَ لطفه قلبي، وداعبت كلماته ذهني، وكان الوسيلة التي استخدمها الرب الإله في تغيير قلبي ومنحي حياةً جديدة...

مقدمة ٥

الفصل الأول ٧

العلاقة بين التعاليم المسيحية وسفر التكوين ٧

الفصل الثاني ١٩

الإدراك السليم للكِتاب المُقدَّس ١٩

الفصل الثالث ٢٧

الإطار الزمني للخلق ٢٧

الفصل الرابع ٣٧

أهمية الإطار الزمني للخلق ٣٧

الفصل الخامس ٤٣

البداية من البداية ٤٣

الفصل السادس ٥١

أهميّة سفر التكوين ٥١

مقدمة

وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا.
التكوين ٢: ١٥

ما مدى أهمية الجدل القائم حول موضوع الأصول؟

من المرجح أنك قد سمعتَ عدداً من الناس يقدمون تصريحاتٍ مثل: "بوجودِ كلِّ هذهِ المشاكِل التي تعصِفُ بعالمنا المعاصر، فإنَّه ليسَ مِنَ الواجِبِ علينا أن نُفكِّرَ في الكيفيّة التي ابتدأ بها كلُّ شيءٍ. يتوجب علينا أن نحصرَ تفكيرنا بالمستقبل ونتجاهلَ الماضي."

إنَّ عالمنا المعاصرَ يواجهُ مُشكلاتٍ متعدِّدة مثل العُنف، الحروب، الجرائم، الأمراض، الجوع، الإنهيارات الإقتصادية، الكوارث الطبيعية، واللائحة تطول. عدا عن ذلك فإننا نَشْهدُ هجماتٍ شَرسةٍ على قُدسيَّة الحَياةِ البَشَريَّةِ، ونشهد أيضاً محاولاتٍ لإعادةِ تعريفِ مفهومِ الزّواج. كما نُعاينُ تَراجُعاً في القُبولِ العامِّ للقيمِ المسيحيّةِ على مستوى العالم، ومن المُخَيِّبِ للآمالِ أن نجدَ الدول التي قامت وتأسَّست قواعِدُها على المبادِئِ والقِيَمِ المَسيحِيَّةِ باتت تَفقِدُ أُسُسَها المسيحيَّةِ وبتسارعٍ شديد الخطورة.

كيفَ لذلك أن يحدثَ؟ فالبعضُ من هذه البلدان كالولايات المتحدة على سبيل المثال تتواجدُ فيها أعداد كبيرة من المكتباتِ المسيحية، الإذاعاتِ المسيحية، المحطّاتِ التلفزيونيةِ والمدارسَ المسيحية. وعلى الرغم من تواجد هذه المنظمات المسيحيَّة والتأثير المسيحيّ، إلا أنها تتحول إلى دولةٍ وثنيةٍ بتسارعٍ مستمرٍ، وكذلك هو حالُ العديدِ من دول الشرق الأوسط والعالم.

قد يبدو الأمر مجرد إضاعةٍ للوقتِ بالنسبةِ للبعض، فإنه -بحسبِ اعتقادِهِمْ- يجبُ العمل على حلِّ المشكلاتِ والمواضيعِ الإجتماعيةِ المُعاصرة عوضاً عن الكلام في مواضيعَ أكاديميّةٍ مثلَ الأُصولِ.

لكن ماذا لو كان هنالك ارتباطٌ بين موضوعِ الأصولِ وبينَ جميعِ هذه المُشكلات؟

نتشارك مع العديد من المسيحيّين في الإعتقاد بوجود رابط قويّ، كما أنَّ العديد من المسيحيّينَ ينظرون إلى هذه الظواهر الإجتماعية التي سردنا عيّنةً منها، ليس على أنَّها المشكلةُ بحدِّ ذاتِها بل إنها الأعراضُ والنتائجُ السلبيةُ الناتجةُ عن جذرٍ رئيسيٍّ ألا وهوَ فُقدانُ سلطانِ الكتابِ المُقدَّسِ، وهو الأمر الذي يظهر من خلال الهجماتَ الشرسة التي

تستهدفُ سفرَ التكوينِ بشكل خاص، حيث أنَّه ليسَ من المُمكِنِ أن يَتِمَّ عزلُ القيمِ المسيحيَّةِ عن جُذورها الموجودَةِ في التاريخِ المُسَجَّلِ في سفرِ التكوين.

ما هو مصدر التعاليم المسيحية، كالتعليم عن الزواج على سبيل المثال؟

إن التعليم عن الزواج يعود في جذوره إلى سفر التكوين. فإن الله هو من وضع أساسَ تكوين العائلة. فبعد أن خلقَ آدم، قام بخَلقِ حوَّاءَ من ضلعٍ من جنبِ آدم، وأصبحا بذلك أوَّلَ زوجين.

إن سفر التكوين ٢: ٢٤ يخبرنا بأنَّ تلك الواقعة التاريخية هي المصدر الذي حدد أساس الزواج وتعريفه بحسب الكتاب المقدَّس، رجلٌ واحد وامرأة واحدة ويصير الإثنان جسداً واحداً مدى الحياة. كما أنَّ يسوع المسيح نفسه كان قد أكَّد هذا التعليم في متى ١٩: ٤-٦، حيث أنَّه استشهد بسفر التكوين.

لكن إن كان التاريخ الذي تم تسجيله في سفر التكوين غير صحيح، فما هو السبب الذي يدفعنا إلى الإيمان بتعريف الزواج المُقدَّم فيه؟

لماذا لا نُعيد تعريف الزواج على أساس أنَّه رجلٌ مع رجل، أو رجلٌ مع صخرة، أو إلى ما هنالك... ؟

دون وجود الأساس التاريخي الذي يُقَدِّمَه سفر التكوين، فإن الزواج سيتم اختزاله ليصبح مجرَّد ظاهرة اجتماعية، وكما هو معروف فإن الظواهر أو العادات الإجتماعية تُقاد بالآراء والعواطف البشرية المُتغيّرة. وإنه من غير المستغرب أن نُعاين مفهوم الزواج وهو يتعرض لهجوم شرس في يومنا هذا، إذ أنَّ الأساس الموجود في سفر التكوين قد تمَّ تجاهله نتيجةً لتبني العقيدة التطورية.

بطريقة مُشابهة، فإن قدسية الحياة البشرية، الحريّة، القانون، والعدالة تنطلق جذورها من سفر التكوين. على الرغم من هذا فإننا نرى أن سفر التكوين يتعرض للهجوم والرفض العامّ، ويُقال لنا أن عدة ملايين من السنوات من التطور قد أنتَجَت جميع أشكال الحياة على الأرض. إن ازدياد عدد الرافضين للتاريخ التوراتي سيزيد من تلاشي القيم المسيحية في مجتمعاتنا. أما على المستوى الفردي، قد نجد أن بعض الأفراد يؤمنون بالتطور ويحافظون على قيمهم المسيحية في حياتهم وتصرفاتهم، إلا أن إيمانهم وتصرفاتهم لا يتفقان بعضهما مع بعض. وكلما ازداد ايمان الأفراد بالتطور كلما شابهوا في تصرفاتهم أولئك الرافضين لوجود الإله الخالق.

فإن كنا نريد أن نستعيد مجتمعاتنا إلى القيم المسيحية الكتابية فلا بد أن نكون أوفياء إلى التعليم الكتابي، ابتداءاً من سفر التكوين.

الفصل الأول

العلاقة بين التعاليم المسيحية وسفر التكوين

"فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى" متى ١٩: ٤

هل يوجد علاقة بين تراجع القيم المسيحية في المجتمع وبين رفض المفهوم التاريخي لسفر التكوين؟

إن التعاليم المسيحية موجودة عبر صفحات الكتاب المقدس، ولذلك نجد أنَّ فكرة إمكانية رفض سفر التكوين، دون أن تتأثر بقية الأسفار، فكرة رائجة في وقتنا الراهن، إلا أنَّ هذا خطأٌ كبير.

إذ أنَّ جذر كل تعليم من التعاليمِ المسيحيةِ الرئيسيةِ يكمنُ في سفر التكوين. وفي الوقت الذي نجدُ هذه التعاليم مذكورةً عبر صفحات الكتاب المُقدَّس في أماكنَ كثيرةٍ، إلا أنها لا تستطيعُ أن تَصمُدَ أمام الفحصِ والتمحيصِ الجّادِ في حال لم يتم أخذ سفر التكوين على أنه تأريخٌ حقيقيٌّ للأحداث، بالطريقة عينها التي لن تصمدَ فيها أية شجرة دون جذورها أو أيُّ بيتٍ دون أساساته. فلنتأمل الآن في بعض التعاليم المسيحية لنرى الكيفية التي تم التأسيس لها عبر صفحات سفر التكوين.

أولا - الزواج

إن الكتابَ المقدس يعلّم بأنَّ الزواج هو إتحادٌ مُقدَّسٌ بين رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ مدى الحياة. ويوجد عدد كبير من الآيات التي تتطرق لموضوع الزواج. إلا أنَّ السؤال هو: من أين انطلق مفهومُ الزواج؟

إنَّ الله قد أسس لمفهوم الزواج في اليوم السادسِ من أيامِ الخليقةِ. فهو قد خلق حوَّاءَ من جنب آدمَ لتكونَ لهُ مُعيناً نَظيرَهُ. والكتاب المُقدَّس يقول في التكوين ٢: ٢٤

بأن هذه الحادثة التاريخيّة هي السَّبَبُ الكامن وراء وجودِ سرّ الزواج المُقدَّس في يومنا الراهن.

”لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا.“

دونِ أدنى شكّ فإن هذه الآية هي أساسُ سرِّ الزواجِ المقدَّسِ فالوحي الإلهي يؤكدّ ذلك.

إن الزواجَ كما ذكرنا سابقاً هوَ ارتباط رجلٍ واحدٍ مع امرأةٍ واحدةٍ يوحِّدُهُما الله، وهذا الإتحادُ دائمٌ مدى الحياةِ لأنَّ هذهِ هي الطريقةُ التي أسَّسَ بها الله للزواجِ عندَ التكوينِ. فالله قد زوّدنا بنموذجٍ أوَّلي للزواج، ومن اللازم علينا أن نحذو حذوهُ. كما أن يسوعَ المسيح أكَّد ذلك في متى ١٩: ٤-٦.

فهل يُمكن الدفاع عن الزواج بعيداً عن أساساته التي في سفر التكوين؟

إن لم يكُن سفر التكوين يُقدِّمُ روايةً حقيقيّةً، هل يمكن الدفاع عن سبب وُجوب كون الزواج إتحاداً مقدَّساً بين رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ مدى الحياة؟

يجادِلُ البَعضُ قائلينَ بِبَساطة: إنَّ الزواجَ التقليديَّ هو كذلك بسبب التقاليد. إلا أن التقليد لا يُلزِم الآخرين باتباع ذات السلوك، فلمجرَّد أنك تُلوِّن البيض المسلوق في الفِصح أو تقوم بتخبئته [كما يُفعَل في بعضِ الدُول] لا يعني أن الآخرين مُلزَمين باتّباع السُّلوكِ عينه. كما أن البعضَ من الناسِ يرتدوَن أزياءَ تنكّريةٍ في الهالوين، لكن ذلك لا يعني بأننا يجب أن نقوم بالمِثل. وبالقياس على ذلك، فإنه لمجرد أنَّ الزواج التقليديّ كان يُقام بهذه الطريقة الواحدة في مجتمعنا لا يتضمن ذلك إلزاماً بوجوب الإستمرار بإقامته بالطريقة ذاتها. فالحضارة تتغير وكذلك التقاليد.

البعضُ الآخر من الناس يجُادلون دفاعاً عن الزواج التقليديّ بحُجَّةِ أنَّها الطريقة السليمة لإتمامه بحَسْبِ رؤيتِهم. إلا أنَّ ذلك يعني أن البعضَ الآخر يستطيعُ الدِّفاعَ عن الزواجِ المِثليّ على ذات الأساس. إنَّ المشاعر والآراء الشخصيّة لا تُقدِّم أساساً منطقياً لأي قاعدة مُلزِمة للآخرين.

كما أنَّ البعضَ الآخر قد يجادلُ بأن الزواجَ التقليديَّ هو اتحادٌ بين رجلٍ واحد وامرأةٍ واحدة مدى الحياة لأن الغالبيّة العُظمى تعتقدُ بذلك. إلا أنَّ رأي الأغلبية لن يجعلَ من الأمرِ صحيحاً. فكما أسلفنا، إن كانت الغالبية من الناس ترتدي الأزياء التنكريةَ في الهالوين، فهل يعني ذلك أنَّك مُلزَمٌ بالقيام بالمِثل؟

فلنفترض بأنَّ الأغلبية تُحِبُّ إضافة صلصلة الكاتشاب إلى شطيرة الهامبرغر، فهل يعني ذلك بأنَّه خطأ أخلاقيّ إن لم تُحب إضافة الكاتشاب إلى شطيرتك؟

بالتأكيد لا.

خلاصة الأمر، إن كانت نظريةُ التطورِ صحيحةَ، فذلك يعني عدمَ وجودِ أي قاعدةٍ تأسيسيةٍ لتعليم الزواجِ. ومفهوم الزواج سيتحوَّلُ إلى ظاهرةٍ اجتماعيةٍ - ظاهرةٍ تتطوُّر في وقتنا الراهنِ لتتحولَ إلى شيءٍ مختلفٍ تماماً عما كانت عليه منذ عدّةِ سنوات مضت.

إلا أنّ الحقيقةُ ستبقى بأنَّ الزواجَ هو اتحادٌ مُقدَّسٌ بين رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ مدى الحياة لأن الله الخالقَ قد أسَّسَهُ وفق هذه الطريقة منذ البدء، وقد نقله الوحي المُقدَّس إلينا من خلالِ سفر التكوينِ. بالإضافة إلى ذلك، فإن كل الآياتِ الأُخرى في الكتاب المُقدَّس التي تتناول تعليم الزواج تتصل بشكلٍ مباشرٍ مع سفرِ التكوين والسردَ الذي يقدِّمَهُ عن الخلقْ.

إنَّ سفر التكوين بصفته السّجلَّ التاريخيَّ الحقيقي للعمل الذي أتمَّه الله في ستة أيام هو الأساس والقاعدة التي يبنى عليها تعليم سرّ الزواج المُقدَّس.

ثانياً - قُدسيّةُ الحياةِ الإنسانية:

إن الكتابَ المُقدَّسَ يُعلِّمُنا بأنَّ البشَر يختلِفونَ اختلافاً نوعياً عن بقيةِ الكائناتِ الحيّةِ. فنحن متميّزون في أننا مخلوقونَ على صورة الله ونتمتَّعُ بحقوقٍ خاصةٍ بنا دوناً عن باقي المخلوقات. ولهذا السبَب فإنَّهُ من غير الأخلاقيّ أن يُقتَل الإنسان، فإنه لا يحقُّ لنا أن نُفسِد من خُلِقَ على صورةَ الله بطريقة مُماثلة.

إن قُمنا بالإستقصاء، فإننا سوف نجدُ عدداً محدوداً من النّاسِ يبذلون القليلَ من الوقتِ في التفكيرِ في الحَيَواتِ التي تُخمَدُ في سبيل الحصول على وجبةٍ شهيَّةٍ من اللَّحمِ، أو شطيرةٍ من البرغر، أو طبقٍ من السَّمك. كما أننا في كلّ مرة نستنشقُ الهواءَ، فإن مجموعةً من الكائناتِ الحيَّةِ الدقيقةِ تَدخُلُ إلى نظامِنا الحيويّ، حيثُ يتمُّ القضاءُ عليها من قبلِ جهاز المناعةِ الخاصِّ بنا.

فلماذا لا نجدُ أحد الأشخاصِ يصيحُ "جريمة" حين نقوم باستهلاك القرنبيط؟

السببُ هو أنَّ كلَّ شخصٍ يعرفُ في قلبِهِ أنَّ الحيواناتَ والنباتاتَ لا تحمِلُ صورةَ اللهِ، في حين أن البشرَ وحدهَم من يحملُها. وسواءَ كنا نعتَرِفُ بذلكَ أم لا، فإننا جميعاً نُميِّز أن البشرَ هُم مخلوقاتٌ مُميَّزةٌ، وليسوا مجرّدَ كائناتٍ حيَّة تعيشُ على سطح الأرض. إذ أنَّ الخالق بذاتِهِ قد قامَ بتمييزنا عن بقيَّة الكائِنات، وذلك بِخَلْقِهِ لنا على صورته ومثاله.

وأين تعتقد أن هذا المبدأ الكتابيَّ قد بدأ؟

بالتأكيد، إنه في سفر التكوين.

" فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: »أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ«." (تكوين ١: ٢٧-٢٨)

أما النباتاتُ فقد خُلقت كطعامٍ للإنسان (تكوين ١: ٢٩). لذلك فإنَّ "قَتل" جزرة واستهلاكها لا يشكلُّ معضلةً أخلاقيّةً - إذ أنَّ اللهَ قد خلقها لهذا الغاية. وفي سفر التكوين ٩: ٢-٣، نجد أن الله قد وسَّعَ القائمةَ الغذائيّةَ للإنسانِ لتشملَ الحيوانات ايضاً. ولكنَّ قتلَ الإنسانِ هو أمرٌ غير مقبولٍ (تكوين ٤: ٨-١٢؛ ٩:٦). وإن قُدسيَّة الحياة الإنسانيّة هي حقيقةٌ أخلاقيةٌ وجذرها ينطلق من سفرِ التكوينِ.

أما إن كان الخلق مجرَّدَ أسطورة، وإن كان البشرُ ببساطةٍ مجرّدَ حيواناتٍ متطورةٍ، فهل سيكونون متميّزين عن بقيّة الحيوانات؟ فالحيوانات لا تمتلكُ قانوناً أخلاقياً. فإن قام أسدٌ ما بقتلِ أسدٍ آخرَ، نحن لا نقول بأن هذا خاطئٌ، ولا نضع الأسد القاتِلَ في السجن. إذ أنَّ ما يقوم به الحيوان لا يتعلق بالأخلاق. وبالتالي فإن كان الإنسانُ لا يختلفُ عن الحيوانات، فعلى أي أساسٍ يمكنُ القول بأنّ قتلَ الإنسانِ أمرٌ خاطئٌ من الناحيةِ الأخلاقيَّةِ. وفي حال قمنا بالتمييز بين الإنسان والحيوانات، فإن هذا التمييز سيكونُ أمراً تعسُّفياً وغيرَ موضوعيٍّ وخصوصاً إن كان مبنياً على الأفكارِ التطورية.

إنَّ البعضَ منَ الأشخاصِ سيقومونَ بالجدالِ على أساسِ أنَّ البشرَ أكثرَ ذكاءً من الحيواناتِ "الأُخرى"، ولذلكَ فالبشرُ يمتلكونُ حقوقاً أكثرَ ولا يجبُ أن يُقتَلوا. لكن إن هذا المعيارَ هو معيارٌ تعسفيٌّ ويقودُ إلى استنتاجٍ خطيرٍ للغاية، يفيدُ بأنَّ البشرَ الأكثر ذكاءً يمتلكونَ حقوقاً أكثرَ من البشرِ الأقلّ ذكاءً منهم. فهل يجبُ أن يتمَّ السماحُ للشخصَ الذي يمتلكُ مُعدلَّ ذكاءٍ عالٍ أن يقوم بقتلِ الشخصَ الذي يمتلكُ مُعدلاً مُنخفضاً من الذكاء؟ بالرُّغمَ من عدمِ امكانيةِ تفادي هذا الإستنتاج عند استخدامِ ذلكَ النموذجَ من التفكيرِ فإنَّه مِنَ الواضحِ أن الإجابةَ هي بالنفي.

من وجهةِ النظرِ التطوريةِ، إنَّ البشرَ ليسُوا مُختَلِفينَ أساساً عن الحيواناتِ أو النباتات. وبالنتيجةِ فإن أي سِلسِلَةٍ من الأفكارِ التي تُقدّمُ تبريرا لقتلِ الحيواناتِ أو النباتاتِ يُمكنُ أن يتمَّ استخدامُها لتبريرِ قَتلِ أيّ مجموعةٍ من البشر وذلك بناءً على معاييرَ شخصيةٍ مثل العِرْقِ، العُمرِ، القُدُرات، أو الجِنْس.

فلماذا إذا لا نقومُ بإجهاضِ الأطفال المزعجينَ إن كانوا مجرّدَ أبناء عمومةٌ بعيدين للقرنبيط (بحسب الإعتقاد التطوريّ)؟ إنَّ العديد من الأشخاصِ قاموا باستخدامِ هذا النموذج في الدفاعِ عن الإجهاض، إلاّ أنَّ هذا النموذجَ لا يتوقَّفُ عندَ الأطفالِ الذينَ لم يُولَدوا بَعد. فلِماذا لا يَتِمُّ وأدُ أيّ طفلٍ غير مُلائم بعد فترةٍ قصيرةٍ من ولادتهِ. أو لماذا لا يُقتلُ أي مُراهقٍ ناكرٍ للمعروف، أو كبار السِّنّ والعجزة؟ إنه لمنَ الواضح أنَّ مُعظمَ مؤيّدي التطوّرِ سينضمونَ إلينا في التنديدِ بمثلِ هذهِ الأعمالِ. لكنَّ النقطةَ التي نحاول أن

نقوم بتقديمها من هذا الطرح هي أنهم غيرُ قادرينَ على تفسيرِ السَّبَبِ في أنَّ هذهِ الأعمالَ خاطئةٌ من المنظور التطوّريّ. حيث أنَّهُمْ قَدْ لايقبلونَ هذهِ الفظائعَ من الناحيةِ العاطفيَّةِ. لكنَّهم غيرُ قادرينَ على تقديمِ دفاعٍ منطقيٍّ للقولِ بأنَّ هذهِ الأعمالَ خاطِئَةٌ.

إنَّ المنظورَ المسيحيَّ وحدَهُ قادرٌ على تقديمِ أساسٍ منطقيٍّ للتنديدِ بالقتل على أنه عملٌ خاطئ. بينما نجد أن المنظورَ التطوريَّ للحياة البشرية هو منظورٌ غيرُ مُتَّسقٍ مع قُدسيَّة الحياة الإنسانيَّة. فالرب الإله قامَ بتعريف الحياة ومن ثُمَّ قام بالتمييز بين الحياة البشريَّة وأيِّ نوعٍ آخرَ من الحياة - وهذا الأمرُ قد ترسَّخَ ابتداءاً من سفرِ التكوين.

ثالثاً- اللباس:

على الرغمِ مِن غيابِ هذا التعليم عن العِظات الكنسيَّة إلا أنَّ اللِّباسَ هوَ تعليمٌ مسيحيٌّ من المُمكنِ تتبعُ جذورهِ إلى سفرِ التكوين.

إنَّ اللباسَ لم يكنْ ضرورياً في الحالةِ الأصليَّةِ قبلَ الخطيئة، إلا أنهُ قد تمَّ تقديمَهُ كغِطاءٍ إلى آدمَ وحواءَ، بسببِ الخِزي والخجلِ المرتبطينِ بخطيئَتِهِما وذلك ما نعرفه من (التكوين ٢: ٢٥؛ ٣: ١-٧؛ ٣: ٢١).

ولهذا السبب فإننا نجدُ أن جَميعَ الثَّقافاتِ في العالمَ تقريباً تمتلكُ نوعاً من أنواعِ الاعتدالِ حينَ يتعلَّقُ الأمرُ باللباسِ، حتى في المناطقِ ذاتِ المناخ الحارّ.

- لكن كيفَ لنا أن نفهمَ أساسَ اللباسِ إن لم نأخذ بالإعتبار التاريخَ المسجَّل في سفرِ التكوينِ؟
- منَ المنظورِ التطوريِّ الذي لا يختلفُ فيهِ الناسُ أساساً عن أيٍّ منَ الكائناتِ الأُخرى، ما هوَ سببُ ارتداءِ الملابسِ في المَناخَاتِ الحارّة؟
- ها هي ذا الحيواناتُ لا ترتدي أيَّ لباسٍ، والإنسان وفقَ هذا المنظورِ هوَ حيوانٌ متطوِّرٌ، فما هيَ أهميةُ اللباسِ إذاً؟

بالرّغمِ مِن ذلك، نجدُ أنَّ الحاجةَ إلى اللباسِ هيَ أمرٌ بديهيٌّ بالنسبةِ إلى الجميع. والشعورُ بالعارِ يرتبطُ بشكلٍ فطريٍّ معَ التعري. ونحنُ جميعاً نشعرُ بالحرجِ. والحقيقةُ هي أنَّ معظمَ المجتمعاتِ تمتلكُ قوانينَ تتعلَّقُ بالحياءِ العامِّ.

إلا أنَّ الحيواناتَ ليسَ لديها أيَّ نوعٍ منَ الحرجِ بسببِ عدمِ ارتدائِها للباس. إنَّ الحرجَ لا مبرّر لهُ في التطورِ، فحتَّى المؤمنُ بالتطورِ سيكونُ حَرِجاً في حال وُجِدَ عارياً في الأماكنِ العامةِ.

نحنُ نقومُ بتغطيةِ أنفسنا لأنَّ اللهَ قد أسَّسَ الحاجَة إلى اللباسِ، ليسَ ذلكَ من أجلِ تعزيزِ الجمالِ، إنما لتخفيفِ الشعورِ بالخجلِ والحَرَجِ الناجِمِ عنِ الخطيئةِ الأصليَّةِ، وهوَ الأمرُ الذي تمَّ وصفَهُ بعنايةٍ بالغةٍ في سفرِ التكوينِ وذلكَ بعدَ سقوطِ الجنسِ البشريّ. في

المُحصّلة إنَّ هذا التعليمَ لا أساسَ لهُ إلا في حال كان سفرُ التكوينِ تاريخياً.

رابعاً - القانون:

إنَّ أُمَمُنا وأنظِمَتُنا مَبنيَّةٌ على القوانينِ، ونحن كشعوبٍ فإننا نمتلكُ ميلاً فطرياً لفَهم وإطاعَةِ القوانين. كما أنّ جميعَ القوانينِ - سواءَ كانت مدنية أو أخلاقية - تمتلك شيئاً مشتركاً وهو أنَّها تضعُ حُدوداً لتصرُّفاتِنا من خلالِ التهديدِ بأحَّدِ أنواعِ العُقوبَةِ في حالِ عدمِ التزامِنا بها. والكتابَ المُقدَّسَ يُسَجِّلُ لنا عدداً منَ القوانينِ التي تقودُ وتحدِّدُ تَصَرُّفاتِنا سواءَ كان ذلك على مستوى الأُمّة أو على مستوى الأفراد. لكنْ يوجد سؤالٌ لِيُطرحَ في هذا المقامِ وهوَ: مِنْ أينَ صدَرَ أوّلُ قانونٍ؟ وما هو سببُ وجودِ القوانينِ على أيّة حال؟

لاستشكافِ أصلِ القوانين سنقومُ بالنَّظرِ إلى سِفرِ التكوين.

فإنَّ أوّلَ قانونٍ أُعطِيَ للبشرِ كانَ مِن قِبَلِ الله - حيثُ قالَ لآدمَ وحوَّاءَ أن يذهبوا ويتكاثروا ويتَسَلَّطوا على جميعِ المَخلوقاتِ التي على الأرض (تكوين ١: ٢٨). كما قالَ اللهُ لآدمَ ألا يأكلَ من شجرةِ معرفةِ الخيرِ والشَّرِ، وقد ألحَقَ عقوبةً في حالِ عدمِ إطاعَتِهِ الأمرَ وكانت الموتَ.

إنَّنا نمتَلِكُ القوانين كون الله الخالق قد صَنَعَ الإنسانَ على صُورَتِهِ ليكونَ مُمَيَّزاً بينَ المَخلُوقاتِ الباقِيَةِ ويمتَلِكَ عَلاقَةَ شَرِكَةٍ مَعَهُ. بالتالي فإنَّ الله هو صاحِبُ الحقِّ المُطلَقِ في وضعِ القواعِدِ التي تَحكُمُ تصرّفاتَنا. وبما أنَّ اللهَ قد أعطى لنا حريَّةَ الاختيارِ - فنحنُ لسنا رجالاً آليّينَ عديمي الحُريَّةَ - أي أنَّهُ يُوجَدُ عواقبَ لعَدَمِ الطَّاعَةِ وتطويباتٍ للطاعة (كما في التثنية ٢٨: ١-١٤).

نحن مدينون لله بوجودنا، وبالتالي فإنَه علينا التزام أخلاقي بإطاعة القوانين التي أقرَّها. ونحن نعرف أيضاً أنَّه سَيَدِينُ أعمَالنا. ونحن بالغالب نختبرُ نتائجَ أعمالنَا في هذا العالمَ إلا أن هذهِ النتائجَ قد لاتكونُ واضحةً لنابشكلٍ دائمِ. لكنهُ مِنَ المُؤكَّدِ أنَّنا جَميعاً سنواجِهُ الدينونةَ الأخيرة. وها نحن نجدُ أنَّ الإنسانَ صاحب الطبيعة التي تميلُ إلى التمرّدِ على الله يقومُ بانشاءِ المجتمعاتِ، ووضعِ القوانينِ المدنيَّة، لكبحِ الشرِّ في المجتمع. فإن هذه القوانين هي ذاتُ معنىً فقط في ضوء سفر التكوين.

لكن من المنظورِ التطوري الذي ينظر إلى البشر على أنهم حيواناتٌ متطورةٌ، هل من المنطق أن توجد أية قوانين؟

فالحيوانات لا تمتلك قوانين تحكُمُها، فهي تفعلُ ما تشاء دونُ أيِّ شعورٍ بالإنصافِ أو العدلِ. كما أنّها لا تملكُ أيَّةَ حُكومةٍ أو شرطةٍ أو جرائمَ أو سياسات. إن الحيواناتِ تتصرَّفُ بطريقةٍ حيوانيةٍ فقط لاغير، فنحنُ لا نحكمُ بالسجنِ على أسدٍ في حال قتلَ أسداً آخرَ. فلماذا إذاً نحكم بالسجن على الإنسانِ في حالِ قتلَ إنساناً آخرَ.

إن فكرةَ التطورِ تتطلبُ مفهومَ "البقاءِ للأصلَح". فالأقوى يُسيَطرُ على الضعيفِ في منافسةٍ شرسةٍ على الموارد، وهذا الأمرُ سيُفضي بطبيعةِ الحالِ إلى فناءِ الأضعف، وبالنهاية سيَنتُج لدينا كائناتٍ حيّةٍ أقوى وأصلَح. و البشرُ قد تطوروا من كائناتٍ أدنى بطريقةٍ مشابهة لما سبقَ، فِي حالِ كانَ هذا صحيحاً فكيفَ يكونُ للقوانينِ أيّ معنىً؟

الفكرُ التطوريّ يتمحورُ بشكلٍ أو بآخرَ حولَ فكرةِ أنَّ القويَّ يسيطرُ على الأضعفِ؛ فلماذا إذا نمتلك قوانين تعمل على حماية الضعفاء من الأقوياء؟

إنَّ القوانينَ وُضعت أساساً لمنعِ الشخصِ الأقوى والأصلَح من أن يَقتُلَ أو يَستَغِلّ الشخصَ الأضعَفَ. أي أنَّ القوانين تسيرُ بشكلٍ مخالفٍ لمفهومِ البقاء "للأصلح". علماً أن معظمَ الأشخاصِ التطوريينَ يؤمنونَ بالقوانين، إلا أنَّ إيمانَهم هذا سيكون عديم

المعنى في حال كان التطور صحيحاً.

خامساً - الأسبوع ذو الأيام السبعة:

إن الوصيّةَ الرابعةَ من الوصايا العشر تقول "أُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ." (خروج ٢٠: ٨). إن إرشادات الله هي أن نتَّخذ يوماً من أيام الأسبوع للراحة ولتمجيد الله. ونجد أن معظم المسيحيّين يحتفلون بالسبت المقدَّس في يوم الأحد، وذلك تكريما واحتفالاً بقيامة المسيح.

لكننا نلاحظ في الوقت عينه أن غير المسيحيّين أيضاً - عادةً ما يتخذون يوماً من أيام الأسبوع السبعة كيوم عطلة للراحة، وفي الحقيقة إنَّ غالبية الحضارات التي وُجِدَت على الأرض تمتلك نظاماً اسبوعياً من سبعة أيام. لكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام، من أين نشأت هذه الفكرة؟ ولماذا يكون هنالك يومٌ للراحةِ في كلّ سبعة أيام وليس كل خمسة أو عشرة؟

ما هو مصدر النظام الأسبوعي الذي نعرفة مكوّناً من سبعة أيام؟

بالرغم من أننا نجد وصية السبت قد وردت في سفر الخروج ٢٠: ٨، إلا أن الفكرة قد نشأت أولاً في سفر التكوين.

فسفر التكوين ١: ١- ٢: ٢ يشير إلى أن الله قد خلق كلَّ شيء في ستّة أيامٍ ومن ثمَّ استراح في السابع. بالطبع نحن نعرف بأن الله الكُليّ القدرة ليس بحاجة للراحةً، كما أنَّه لا يحتاج أن يستغرق ستة أيام ليخلق الكون. فهو يمتلك القُدرة على أن يفعل ذلك لحظيّاً. إلا أن الله خلق في ستة أيّام ومن ثم بعد ذلك استراح في اليوم السابع وبذلك كان مُعطياً لنا نموذجاً لنحذو حذوه.

ونجد تفسير ذلك في سفر الخروج ٢٠: ١١ حيث نجد أن وصيّة حفظ السبت مبنيَّة على أسبوع الخلق. "أَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ."

لايوجد أيّ قاعدة علمانية معروفة تستطيع تفسير الأسبوع ذو الأيام السبعة دونَ اللجوء إلى الكتاب المقدس، فاليوم هو الفترة التي تستغرقها الأرض لإتمام دورة كاملة حول محورها. والشهر هو الفترة الزمنية التي تلزم لكي يُتِمَّ القمر جميع مراحله، والسنة هي الفترة الزمنية التي تستغرقها الأرض لإتمام دورة كاملة وفق مدارِهَا حولَ الشمس. لكن لا يوجد أي ظاهرة فلكية تتفق مع الأسبوع. ولقد اقترح البعض تفسيراً بأن أجدادنا قد اخترعوا نظام الأيام السبعة تكريماً للكواكب الخمسة التي يمكن ملاحظتها بالعين المجرّدة (عدا الأرض) بالإضافة إلى الشمس والقمر. لكن حقيقة الأمر أنه ليس هنالك من ارتباط بين عدد الكواكب والزمن. فلماذا هي سبعة أيام وليس سبع سنينٍ أو ساعات أو حتى باوندات أو سنتيمترات؟

إن عدد الكواكب ليس له أي علاقة بالزمن، وليس له قيمة تمكنه من أن يكون نقطة انطلاق لتحديد عدد أيام الأسبوع. إن الأمر الأكثر منطقيةً هو أن نفترضَ بأن أيامَ الأسبوعِ السبعةِ قد تمَّ إعطاؤها أسماءاً تبعاً للكواكب الخمسة والشمس والقمر وذلك بسبب وجود التشابه العددي بينهما.

بناءً على ذلك وبحسب ما وصَلَنا من المعرفة، فإنَّ الأسبوع ذو الأيام السبعة قد وصل إلينا من النموذج الذي تأسَّس في سفر التكوين، وحقيقة كون أغلب الحضارات التي وُجدت على الأرض لديها هذا النظام الأسبوعي إنما هي دليل على أنَّ جميع هذه

الحضارات امتلكت معرفة مبدأية بسفر التكوين.

سادساً - الإنجيل "الخبر السار":

يدرك معظم المسيحيّين أن التعليم المركزي والأكثر أهمية بين التعاليم المسيحية هو الإنجيل - أي الخبر السّار بأن يسوع المسيح قد مات على الصليب ليدفع ثمن خطايانا وقام من بين الأموات ليمنحنا بذلك حياةً أبديةً. لكن السؤال: ما هو مصدر فكرة " الخطيئة"؟ من أين نعرف أن الموت هو أُجرة الخطيئة؟ وعند أي نقطة فهم الجنس البشري بأنَّه بحاجة إلى مُخلِّص؟

إن كل هذه المبادئ الضرورية لفهم الإنجيل تترسخ قواعدها في سفر التكوين.

إن الوحي المقدَّس يخبرنا في رسالة رومية ٦: ٢٣ "أَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ". لكن العلاقة بين الخطيئة والموت لم تبدأ في رسالة رومية إنما بدأت في سفر التكوين. فسفر التكوين يعلمنا بأن الله هو خالقنا وبأننا مخلوقين على صورته (تكوين ١: ٢٦-٢٧). ولذلك نحن مدينون له بوجودنا وبالطاعة الكاملة لوصاياه. ويعلمنا أيضاً بأن الناس مسؤولين عن أفعالهم وبأن هناك عقوبة مترتّبةً على عدم الطاعة لله (تكوين ٢: ١٧).

في سفر التكوين نتعلم بأن العالم كان بحالة من الكمال في وقت من الأوقات، و" حسنةٌ جدّاً" هي خليقة الله الغير المحدود والقُدّوس والمحبّ. فلو أنَّ آدم قد أطاع الله لكان عاش حياةً أبديّة في علاقةِ شَرِكَةٍ مع الله مستَمتِعاً بكمال العالم المخلوق. ولأننا نعرف أن الله بارّ ولا يقبل الشر. فبعد أن خلق الله آدم قال له ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢: ١٧). فإن عصى آدم تلك الوصية سيترتب على ذلك عقوبة - فهو وبشكل مباشر سيفقد خلوده وبالنتيجة يموت (تكوين ٢: ١٧؛ ٣: ١٧-١٩).

لا يوجد في النص الكتابي أي إشارة إلى أن تلك الشجرة هي ذات سمات مميزة أو خواص روحية. إنها بكل بساطة شجرة اختارها الله ليختبر ولاء آدم وطاعته.

وقد امتلك آدم الحرية في أن يختار بين أن يقدم الطاعة المطلقة لله فيتعلم منه ويفسّر العالم من حوله على ضوء إعلانات الله له، أو أن يصير (كالله) من خلال رفض الوصية الإلهية. وبتلك الطريقة يقوم بتفسير العالم المحيط به على ضوء قواعدة التعسّفية وذهنة المحدود. للأسف إن آدم قد اختار الخَيَار الأخير، حيث سقط بالتجربة وأُغوي من قِبَل حوَّاء. التي بدورها سقطت بغواية الحية. وفي تلك اللحظة عينها فقد آدم وحوّاء خلودهما. وكانت تلك الخيانة سبباً في كسر علاقة الشركة مع الله. فمنذ تلك اللحظة ابتدأا يتقدمان بالسن ويشيخا، أي أنهما ابتدأا بالموت كعقوبة على جريمتهما في خيانة الخالق المحبّ.

لقد فَسَد كل العالم نتيجةً لخطيئة آدم. حتى إنَّ الحيوانات تعاني من الألم والموت (رومية ٨: ٢٠-٢٢، تكوين ١: ٣١) كما هو حال آدم، فلماذا؟ إن آدم كان مُسلَّطاً على العالم، وبالتالي فإن خطيئته أثّرت في كل شيئ وعلى جميع المخلوقات التي هي تحت سلطانه، وذلك بالكيفيّة عينها التي يعاني فيها الناس في عصرنا الراهن جرّاء القرارات الحمقاء التي قد يتخذها قادتهم - فحين يقوم رئيس الولايات المتحدة مثلاً باتخاذ قرار

خاطئ، ستكون النتائج السلبية لذلك القرار من نصيب جميع سكان البلاد وذلك كونهم خاضعين لسلطته الرئاسيّة. قد يبدو الأمر غير عادل بأن تعاني الحيوانات وتموت نتيجة لخطيئة آدم. إلا أن العالم لو حافظ على مثاليته ولم يتغيَّر بدخول الخطيئة في عَدَن، فإن ذلك سيشير إلى أن الله لم يعطِ آدم السلطانُ عليها ليحفظها ويرعاها كما قال عند التكوين- أي أن عدم التغيير سيشير إلى أن الله قد كَذَب - لكن الله لايكذب (عبرانيين ٦: ١٨). إن أمانة الله تتطلب أن يُقاسي كل من آدم والعالم الذي كان تحت سلطانه من اللعنة كعقوبةٍ للخطيئة.

وبما أننا نسل آدم وحوّاء، فنحن قد ورثنا عنهما الطبيعة الفاسدة - فنحن قد وُلدنا في حالة من الغربة عن المجد الإلهي مُظهِرين علامات التمرّد على الله. إلا أنَّ الله كان رحيماً على البشرية. فهو لم يترك آدم وحواء يموتان موتاً أبدياً نتيجة لتمرّدهما، إنما قدَّم لهما مُخلّصاً، شخصاً يسدّد ثمن الخطيئة التي ارتكباها، الثمن الذي هو الموت، الأمر الذي سيعيدهما إلى علاقة الشركة مع الله الذي قال لهما بأن "نسلَ المرأةِ" سوف يُتمُّ الأمرَ، معطياً لهما نبوءةً عن المخلِّص الذي سيأتي. وبعد أن أعطاهما أولى النبوءات المسيانية، قام الله بقتلِ حيوانٍ (أو عدّة حيوانات، وربما يكون حَمَلاً) لِيُلبِسَ آدم وحوّاء تلك الجلود التي غطَّت خِزي خيانتهما لله وأظهرت لهما طبيعةَ خلاصهما. فيوماً ما، سيأتي "حملٌ" لاعيب فيه - من نسل المرأة وهو الله نفسه مُتجسّداً - وسوف يموت كيما يُعطي آدم وحوّاء حياةً جديدة. وهي حياة أبديّة في علاقة شركة تامّة مع الخالق. إن رسالة الإنجيل هي متجذّرة في سفر التكوين!

والإنجيل سيفقد معناه دون سفر التكوين. فإن قمنا باستعمال المنظور التطوري، فإن الموت كان موجوداً بشكل دائم وذلك قبل وجود الإنسان بوقتٍ طويل. فهل من الممكن أن يكون الموت عقوبةً للخطيئة؟

وإن لم يكن الموت عقوبةً للخطيئة، فلماذا مات يسوع على الصليب؟

وهل الخطيئة تحمل أي معنى في ظل المنظور التطوري؟

وإن كان العالم مليئاً بالمعاناة والموت بشكل دائم، فما هو السبب الذي قد يدفع أي شخص للتفكير في المصالحة مع الله؟

إن الكتاب المُقدَّس يعلمنا بأننا نستطيع أن نَخلُص (أي نتحرر من عبودية الخطيئة) من خلال "وليّ الدمّ" (كما في اللاويّين ٢٥: ٤٧-٤٩ وفي مواضع أُخرى)، أي أنَّ إنساناً "وليَّ دمٍ" وحده يستطيع أن يكون مُخلّصاً.

إن الله تجسَّد آخذاً طبيعتنا البشرية ليخلّصنا بصفته "وليَّ الدم". فيسوع المسيح ليس إلهاً فقط، إنما هو قريبنا بالجسد. وبالتالي فإن دمه المسفوك يُحسب لنا ويُطهرنا.

إنَّ الكتابَ المُقدَّس واضحٌ جداً بأن دمَ الحيوانات غير قادِر على تسديدٍ ثمن خطايانا (عبرانيين ١٠: ٤) وذلك أن الحيوانات لا تشترك معنا بالدم، وليس من صلة قُربى

بيننا. لكن في حال كان التطور صحيحاً، فإن هذا سيعني أن الحيوانات تستطيع أن تخلّصنا، على اعتبار أننا سنكون مشتركين معها بأحد الأسلاف. فإن كنا قد تطوّرنا من إحدى الحيوانات، فليس من حاجةٍ لأن يموت يسوع على الصليب.

تجدر الملاحظة في هذا المقام إلى أن هذا الكلام لا يعني بالضرورة أن من يؤمن بالتطور لا يستطيع أن يكون مسيحيّاً. فمن الطبيعي أن نجد عدد من الأشخاص ممن آمنوا بالمسيح كربٍّ ومخلّصٍ واعترفوا به إلهاً ويخدمونه بكل محبة ووداعة وبطرقٍ مختلفة، لكن في الوقت عينه يؤمنون بنوع من التطور الربوبِيّ.[1] إلا أن الإيمان بيسوع المسيح والإيمان بالتطور من غير الممكن أن يمتزجا، كما هو حال الزيت والماء. إلا أنَّ الله يظهر مراحمه علينا حتى عندما تكون أفكارنا مشوّشة - وهذا أمرٌ جيد وإلا لكنّا جميعاً في مأزق - إلا أن هذا ليس مُبَرِّراً للإستمرار في حياتنا وفق هذا التشوش الفكري.

إن كلمةَ الله يجب أن تكون المعيار الأعلى في حياتنا، فالإعتماد على الحق الموجود في الكتاب المقدس والمنطق المتّسق فيه إنما هي أمور تُظهِر طاعتنا لله وامتناننا وشكرنا له نظير الخلاص الذي قدَّمه لنا.

إن جميع التعاليم المسيحية ستفقد معناها إن قُمنا بعزلِها عن أساساتها التي تتجذّر في سفر التكوين.

---

[1] theistic evolution: أي أنّ الله قد استخدم التطور ليخلق الكون ، وأشهر المروجين لهذا الإيمان هي منظمة biologos

في الختام نتسائل: هل يمكن أن تكون الأخلاق بمعزل عن التاريخ؟

بعد الإطلاع على النقاط الستة التي قمنا بسردها أعلاه، قد نجد بعض المسيحيّين يقولون: "نعم، إن التعاليم المسيحية ترجع في جذورها إلى سفر التكوين. لكن ذلك لا يعني بأن التكوين هو تاريخ حقيقيّ. الكتاب المقدس هو كتاب أخلاقي وليس كتاب تاريخ. فهو يشبه قصّة الأرنب والسلحفاة،" ويُسهِبون بالقول "أنت تصل إلى العِبْرَة من القصة على الرغم من أن الجميع يعرفون أنها لم تحدث قط."

لكن هذا التشبيه خاطئ، إن سفر التكوين قد كتب كتأريخ، وهو يعطي الأساس التاريخي الذي تقف عليه التعاليم السيحية. وهو أمر مختلف عن قصةٍ خرافية مثل قصّة السلحفاة والأرنب. فالخرافة لا توفّر أساساً للأخلاق، إنما ببساطة شديدة هي تقدم شرحاً أو توضيحاً لحقيقةٍ ما وقد تكون حقيقةً أخلاقيةً معروفة لدى الناس. لكن في حال كان شخص ما لا يفهم هذه الحقيقة، يأتي دور الخرافة في توضيحها له. لكن في حال كان الشخص لا يؤمن بالمطلب الأخلاقي فإن قصةً خرافيةً تتناول المطلب عينه لن يكون لها أي معنى.

القصة الخرافية تستطيع أن تُقدِّم محاكاة للحقيقة - لكنها لا تستطيع أن تقدم أساساً تُبنى عليه هذه الحقيقة، فهي بالأساس ليست حقيقيّة.

إنَّ الحقيقة لا يُمكن أن تُبنى على خرافة!

وجميع التعاليم المسيحية التي تأسست في سفر التكوين لا يمكن أن تكون حقيقّة إن لم يكن سفر التكوين تاريخاً حقيقيّاً.

الفصل الثاني

الإدراك السليم للكِتاب المُقدَّس

”لِأَنَّ ٱلرَّبَّ يُعْطِي حِكْمَةً. مِنْ فَمِهِ ٱلْمَعْرِفَةُ وَٱلْفَهْمُ. “
الأمثال ٢: ٦

إن تَشَبُّع حضارَتِنا بالتعليمِ التطوريّ أدَّى إلى تعاظُم مستوى الميلِ الذي يواجِه المسيحيّينَ ويدفَعهم لمحاولة القيام بالدَّمجِ بين الأفكارِ التطورية والحقيقةِ الكتابية، فهل هذا الأمر ممكن؟

قد يتساءل البعض قائلين: بما أن المسيحيّين قد يختلفون حول تفسيرِ بعضِ الآياتِ الصعبة من الكتابِ المُقدَّس. فما هو السبب الذي يحدّ من إمكانية أن يتمَّ تفسيرُ سِفرِ التكوين بطريقةٍ يتوافَقُ فيها مع الأفكار التطورية؟

حقيقة الأمر هي أن القراءة المباشرة لسِفر التكوينِ بطريقة أمينةٍ، لن تستَحضِرَ إلى ذِهنِ القارئ - ولا بأيِّ طريقةٍ كانت - مفاهيمَ مشابهة للطفرات الوراثية، أو”الإنتقاء الطبيعي“ العامِلَ على مدى عدة مليارات من السنوات. إنَّ السفر يتحدَّثُ وبكلِّ وضوحٍ عن الخالق الذي أوْجَدَ بطريقة مُعجزيَّةٍ وبأمرٍ منه الأنواعَ المختلفةَ منَ الحيوانات والنباتات جنباً إلى جنبٍ معَ مخلوقٍ فَريدٍ ومُمَيَّزٍ يُدعى ”الإنسان“، وذلك قد حدثَ في مدةِ سِتَّةِ أيامٍ كلَّ يومٍ منها أربعٌ وعشرين ساعةً.

من الطبيعي أنك تستطيعُ أن تُفسِّرَ سِفرَ التكوينِ، أو أيَّ سِفرٍ آخرَ من أسفار الكتابِ المُقدَّسِ وفق الطريقة التي تراها مناسبةً - سواء كان ذلك بطريقةٍ شعريةٍ أو رمزيةٍ أو حتى على أساس أنه أمثال. ولكن يُمكنك أيضاً أن تقوم بقراءة السفر وتفسيرة وفق الصورة التي يظَهر عليها.[2] على الرَّغم من امكانيةِ وجود عِدة تفاسيرَ مختلفةٍ للكتاب المقدس، لن تكون جميع هذه التفاسير صحيحة. يرجع ذلك إلى أنَّ مؤلّف الكتاب المقدس (أو أي كتاب آخر) يَمتَلك هدفاً معيّناً في ذهنه أراد نقله عند وضع النصَّ. والتفسير الصحيحُ للنص هو التفسير الذي يتوافق مع هدف المؤلّف.

إنَّ الربّ الإله هو مؤلّف الكتاب المقدس الذي يُشكِّل كُتلة واحدة موحى بها، ولابد أن يتم الاعتراف بالله كمؤلّف للحقيقةِ - وليس مؤلِّفاً للخطأ والإلتباس.

---

[2] ويمكن أن يتم ذلك مع أي كتاب مدرسي أو علميّ!

عند التعامل مع الكتاب المقدس فإننا سوف نتواجه مع مصطلات تفسيرية مختلفة، فنجد التفسير (Exegesis) الذي هو عمل ذهني يقوم به المُفسّر بُغية فهم قصد وهدف المؤلِّف: أي استخراج المعاني التي قام المؤلِّف بوضعها في النص. ونجد أيضاً مُصطلحاً آخر يشير إلى نوع آخر من التفسير من خلال القراءة إلى النص (Eisegesis)، وهذا النوع من التفسير يقوم بتفسيرِ النص بناءً على الأفكار والعقائد المُسبقة للمفسّر، وهذا الأمر يُفضي إلى الخُلوص إلى أفكارٍ لم تكن في قصدِ أو نيّة الكاتب. لذلك فإنه من الواجب علينا عند قراءة الكتاب المُقدَّس أن نبحثَ عن فهمٍ لما أراد الله أن ينقلهُ (مستعملاً عدداً من الناس كَكُتَّاب) حين أعلن عن كلمته لهم. والفهم الصحيح يجب أن يبدأ من حيثُ ابتدأتِ الإعلاناتُ الإلهيةُ أي من سفر التكوين ١: ١.

الأنـواع الأدبـية في الـكتاب الـمقدس

إن السياق هو أمر حاسم حين نقوم بقراءة الكتاب المُقدَّس. يجب علينا أن نسأل، "ما هو نوع الأدب الذي نقرأه؟" أهو شعر؟ تاريخ؟ نبوءات؟ فالكتاب المقدس يحتوي على عدة أنواع مختلفة من الأدب. والأمر الجيد هو أننا حين نريد التمييز بين هذه الأنواع في الكتاب المُقدَّس فالأمر سهلٌ جداً.

أولاً - الشعر

إن المزاميرَ تقدّمُ مثالاً رائعاً عن الكتاباتِ الشعريةِ في الكتابِ المُقدَّس، حيثُ أنَّ العديدَ منها هي أغانٍ وأناشيدَ كانتْ ترتَّلُ من قبل القُرَّاءِ، وسِياقُها الأدبيُّ يجعلُ من تمييزِها أمراً سهلاً. فحين نقرأُ مطلعَ المزمورِ التاسعَ عشرَ "لإمامِ المغنّين، مزمورٌ لداود"- هل يوجدْ أي نوعٍ منَ الشكِّ في أنَّ ما سنقرأهُ هو كلماتٌ لأنشودةٍ قديمةٍ تُنشدُ للشكر لله؟

غالباً ما نفكرُّ بالشعرِ على أساسِ القوافي والعَروض، إلا أنَّ الشعرَ العِبريَّ القديمَ كان قد وُضعَ باستخدامِ "التوازي". إن التوازي ينطوي على بنيةٍ ثنائيّةٍ (أو أكثرَ منَ اثنينِ) حيثُ يتمُّ الإدلاءُ بتصريحٍ ما، ثمَّ بعدَ ذلكَ يُتبَعُ بتصريحٍ آخرَ يرتبطُ بهِ بشكلٍ منطقيٍّ. ويوجدُ نوعان من التوازي. الأولُ يُدعى "التوازي المترادف" الذي يُبنى على تصريحين متتاليين يكون بكل بساطةٍ التصريحُ الثاني هو إعادةٌ للتصريحِ الأولِ، تأكيداً له إنما باستخدامِ ألفاظٍ مختلفةٍ. وفي الغالبِ نجدُ أنَّ التصريحَ الثاني يستخدمُ ألفاظاً مرادفةً للتي استُخدِمت في التصريحِ الأول.

الآية الأولى من المزمور التاسع عشر هي خيرُ مثالٍ على ذلكَ: "اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ." إنَّ التصريحَ الثانيَ أو المقطعَ الثانيَ من الآيةِ إنما هو إعادةُ للتصريحِ الأولِ باستخدامِ كلماتٍ مرادفةٍ. "الْفَلَكُ" هي كلمةٌ مرادفةٌ لكلمةِ "اَلسَّمَاوَات" و "مَجْد الله" يظهرُ من خلالِ "عَمَلِ يَدَيْهِ". والآية الثانيةُ من المزمورِ تتابعُ

مستخدمةً التوازي عينه: "يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَمًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْل يُبْدِي عِلْمًا." "يَوْمٌ إِلَى يَوْم" ببساطةٍ تعني "دوماً" وذاتُ المعنى يوجدُ في "لَيْلٌ إِلَى لَيْل" وكذلكَ هو الحالُ فإنَّ " إذاعة الكلام" ترتبط بشكل وثيق "بإبداءِ العلم".

النوع الثاني من التوازي هو "التوازي المُضادّ أو المُخالف"، الذي يبنى على تصريح أول يتبعهُ تصريحٌ مناقضٌ له من حيثُ المبدأ. على سبيلِ المثال نقرأ في الأمثال ١: ٧ "مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ، أَمَّا الْجَاهِلُونَ فَيَحْتَقِرُونَ الْحِكْمَةَ وَالأَدَبَ. " إنَّ المقطع الأول من الآيةِ يبيّنُ الرجلَ الحكيمَ الذي يمتلكُ المخافةَ المقدَّسةَ والإحترامَ لله في حين أنَّ المقطعَ الثانيَ على النقيضِ منهُ يُبَيّن الرجلَ الجاهل الذي يُبغِضُ الحكمةَ والأدبَ.

ان التوازي هو المفتاح الذي يمكننا من تمييزِ اللغةِ الشعريةِ في الكتابِ المُقدَّس. وكما هو الحالُ مع الشعرِ الحديثِ، فإن اللغةَ الشعريةَ لا يجبُ أن تعالجَ بطريقةٍ حرفيَّةٍ صِرفَةٍ. فهي تستخدمُ وبشكلٍ متكررٍ صيغاً بلاغيةً بقصدِ نقلِ هدفِ المؤلِّفِ إلى القارئ. وعليهِ، فإنَّهُ من غيرِ المنطقيِّ أن يتمَّ قراءةُ سفرِ أشعياءَ ٥٥: ١٢[3] على أنَّه يشيرُ إلى أنَّ الأشجارَ بطريقةٍ ما ستنموا لها أيدي وستصفّقُ بها. إنَّ هذهِ الصيغةَ البلاغيةَ واضحةٌ، وهي تشيرُ إلى البهجةِ والفرحِ الذي يرافقُ قدومَ الربِّ.

فهل منَ الممكنِ أن يتمَّ تفسيرُ سفرِ التكوينِ على أساسِ قراءةٍ شعريةٍ للنصِ؟ هلْ يحملُ أيَّ نوعٍ منْ انواعِ التوازي المضادّ أو المترادف؟ كلا، ألبتّة.

لا نجدُ أيَّ أثرٍ للتوازي في الأحداثِ المسجّلةِ في الإصحاحِ الأولِ من سفرِ التكوين. وبين الفينةِ والأُخرى يظهرُ بعضُ الأشخاصِ الذينَ يقترحونَ بأنَّ تكرارَ عبارةِ "وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ" هو نوعٌ منَ الشعرِ. بالرغمِ من تكرارِ هذهِ العبارةِ في نهايةِ كلِّ يومٍ من أيامِ الخلقِ، إلا أنها ليست نوعٌ من التوازي المترادف. تذكَّرْ أنَّ التوازي المترادفْ يتطلَّبُ الإدلاءَ بتصريحٍ شبهِ مطابق مع استخدامِ ألفاظٍ مترادفةٍ. لكنَّ الكلماتَ هنا هيَ متطابقةٌ. ولا يوجدُ أيَّ نوعٍ من أنواعِ الترادف. إضافةً إلى أنَّ التوازي عادةً يُتَضمَّن في التصريحِ الذي يتبعُ بشكلٍ مباشرَ. لكنَّ خواتمَ كلَّ يومٍ من أيامِ الخليقةِ يفصلُ بينها الأحداثُ التي وقعت في كلٍّ منها.

لا يوجدُ أيّ دليلٍ منطقيٍّ على وجودِ التوازي أو أيِّ أداةٍ من أدواتِ الشعرِ في الإصحاحِ الأولِ من سفرِ التكوين. إنَّ موسى لم يكتبْ هذه الأحداثَ بطريقةٍ شعريةٍ - فإن أردنا أن نفهمَ المعنى المُتَضمَّن يجبُ ألا نحاولَ قراءةَ سفرِ التكوينِ ككتابٍ شعريٍّ.

ثانيا - الأمثال

3 لأَنَّكُمْ بِفَرَحٍ تَخْرُجُونَ وَبِسَلاَمٍ تُحْضَرُونَ. الْجِبَالُ وَالآكَامُ تُشِيدُ أَمَامَكُمْ تَرَنُّمًا، وَكُلُّ شَجَرِ الْحَقْلِ تُصَفِّقُ بِالأَيَادِي.

لقد تكلم يسوعُ المسيحُ بأمثالٍ، وهي قِصَصٌ قصيرة تَتَوضَّحُ من خِلالِها الحَقائِقُ الرُّوحيَّةُ أو الأخلاقيَّة. إن يسوع قد قدَّم كل من مَثَل صاحب الكرم (متى ٢١: ٣٣-٤٠)، السَّامِري الصَّالِح (لوقا ١٠: ٣٠-٣٦)، الزَّارِع (لوقا ٨: ٤-٨)، والعَديد من الأمثال الأُخرى أيضاً.

لا يوجد ضرورة لأنْ تكونَ الأَمْثَالُ حَقيقيّة بِشَكلٍ حَرفِيّ، إنما يَتوَجَّبُ عليناأن نَقومَ بالنَظَرِ إليها على أساس أنَّها تعكِسُ مبادئ أخلاقيّةٍ أو روحيّةٍ بِغَرَضِ التَّوضِيح. ويُمكِنُنا أن نُميِّزَ الأمثالَ مِن خلالِ معالمَ مختلفةٍ في السِّياق.

١. مِنَ النَّادِر أن تُقَدِّمَ الأمثالُ أسماء أو تفاصيلَ ثانوية، إنما تُبقِي الحقائقَ بِصيغةٍ عُمومية كما في لوقا ١٠: ٣٠ "إنسانٌ كانَ نازلاً...".

٢. الأمثالُ تَتَضَمَّنُ إشراكَ خِبرات الحياة اليومية الشائعة. فنحن جميعاً نألفُ آليَّةَ زراعة البذور، وتأثير أنواعِ التُّربَة المختلفة على الزراعة. لذا نجدُ أنَّ مَثَلَ الزَّارِعَ يَفتَرِضُ بشكلٍ مسبق أن المُتلَقي على دِرايَةٍ مُسبَقة بالمعرفة الشائعة والمرتبطة بظروف التربة والزراعة.

٣. الأمثال تقوم بشرحِ المبادِئ الأخلاقية أو الروحية من خلال الخبرات العامة. فالواضحُ من مَثَل الزارع أن المبدأ الروحي يقول أنَّ الأشخاصَ المُختَلِفِينَ في الظُّروفِ المُختَلِفة سيستَجيبون بِطرق مختلفة لرسالة الإنجيل (لوقا ٨: ١١-١٥).

فهل هو مُمكِنٌ أن تَتِمَّ قراءة سفر التكوين على أساس أنَّه أمثال؟ قام البعض بتلك المحاولة. لكن سفر التكوين لا يَمتَلك أيَّ مَعْلَمٍ من مَعالِمِ السياقِ النَّصيّ الذي للأمثال.

١. يفتَقد سفر التكوين إلى التَّعميم الذي يُوجَدُ في الأمثالِ. إنما عوضاً عن ذلك نجد أنه يُقدّم أسماءَ محدَّدَة (آدم، حوَّاء، قايين وهابيل) وتفاصيلَ مُحددة (موقع عدن، وصف الأنهار الأربعة المحيطة بها، الخ.) (تكوين ٢: ٥- ١٥). في الحقيقة إن الاصحاح الخامس من سفر التكوين يُقدِّم سلسلة نسب تفصيليّة من آدم عبر الأسماء المفصلة لذُريَّتِه التي أتَت بَعده، مع ذكرِ تفاصيل لأعمارهم وصولاً إلى نوح. وهذا التفصيل الزمني لا يوجد في الأمثال.

٢. إن الإصحاحَ الأول من سفر التكوين لا يتناوَل خِبرات الحياة اليومية الشائعة، فلا شيء يُمكن أن يكون أقلَّ شيوعاً من خلق الله للكون بكلمته!

٣. لم يُكتب سفر التكوين بِقَصد توضيح حقائق أخلاقية من خلال الخبرات العامَّة. فإنَّه بالرغم من أن سفر التكوين يؤمن الأساس للأخلاق إلا أنه يَقِفُ على النقيض تماماً من أن يكون مَثَلاً.

ثالثاً - التاريخ

إن الكتاب المُقدَّس يَشتَمِل أيضاً على السَّرد التاريخي، وهو أحد أكثر أنواع الكتابة الأدبية شِيوعاً عبر صفحات الوحي المُقدَّس. إنَّ السرد التاريخي هو تَسجيل مُتَتَالٍ للأحداثِ الحقيقيَّة التي وَقعت بالفعل، وعادةً ما تكون مبنية على شهادةٍ لأحد شهود العيان كما هو الحال في سفر أعمال الرسل والبشائر الأربعة. وسفر الخروج هو تاريخيٌّ بطبيعته أيضاً، فهو يُسجل أحداث خروج الإسرائيليّين من مِصر وخَلاصهم منَ العبودية المُرَّة.

إن السَّرد التاريخيَّ يجب أن تَتِمَّ قِراءَتَه وتَفسيره بطَريقة حرفية، مع الانتباه إلى إمكانية ورودِ بعضِ أنواعِ التعابيرَ المجازيَّة من حين لآخر. فإننا حين نقرأ كتاباً عن تاريخِ الولاياتِ المتحدة الأمريكية على سبيل المثال ونجد أن جورج واشنطن كانَ أول رئيسٍ لها، لا نَقف حائِرين أمامَ تلك الكلمات مُتَفَكّرينَ في ماهِيّة المعنى الذي تَحمِلَهُ أو الرَّمزيّة التي يُمكِن أن نَستَعملها للتفسير. فهي بشكل واضح تعني بالضبط ما صرَّحت به. إن السَّردَ التاريخيّ يتميز بذكر أسماء وتواريخ وتفاصيل قد تكون ذاتَ صِلَة مباشرة بالنصّ أو قد تكون مُجرد معلومات إضافية.

إنَّ تمييز السَّرد التاريخيّ في الكتاباتِ العِبريَّة ليسَ بالأمرِ المُعقّد، فيُمكن تمييزُها من خلال أداةِ العَطف أو الترتيب (ו ڤاف أو واو) التي هي أحد أحرف اللغة العبرية وتُتَرجم عادةً إلى العربية باستخدامِ حرف العطف (و) وإلى الإنكليزية باستخدام (and). وحين نجد أن إحدى الجمل تَبتدئ بحرف العطف "و" ويليه فعل فتلك هي إشارة واضحة إلى أن سياق النص إنما هو سردٌ تاريخيٌ ويَصِفُ سِلسِلةً من الأحداثِ المُتعاقبة.

فعلى سبيل المثال نقرأ في تكوين ١: ٦ "وَقَالَ اللهُ:" هذه الواو هي واو التَّعاقُبِ أو التَّرتيب، وتقريباً جميع المرات التي ورد فيها حرف العطف "و" في الإصحاح الأول كان يُفيد التَّرتيب. فالأسلوب العِبريّ يتشابه مع الأسلوب العربي في السَّرد التاريخي حيث نجد استخدامَ حرف العطف للدلالة على تتابع الأحداث وتسلسلها التاريخي، ويُمكن القول بأن الإصحاح الأول من سفر التكوين يقول لنا بأن "الأمر الأول قد حدث، ومن ثمَّ تَلاه أمرٌ آخر، ومن ثم تلاه أمرٌ آخر ... وهلم جرا".

سِفرُ التكوين يُقدم أيضاً أسماء معيّنة (كما هو الحال في الإصحاح الخامس) وأحداث معينة موصوفة بدقّة. فسفر التكوين قد كُتِب على يَدِ موسى بإرشادٍ وَوَحيٍ من الروح القُدُسِ، ويوجد أدلّة جيّدة تُشير إلى أنَّه مِن المُمكِن أن يكونَ موسى قد وَصَلَ إلى المعلوماتِ التي دَوَّنها من خلال تسجيلاتٍ قَدْ دُوِّنَت من قِبَلِ شهود عَيان. وهذا يُمكن أن يَتِم الإشارةُ إليه من خِلالِ عبارة "هذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ"[4] وهذه العبارة ترقى لمستوى أن يَتم اعتبارُها إشارةً إلى المؤلِّف الذي كَتَب ذلك الجزء من النص.

---

4 كلمة مواليد بالعبرية تكتب "תּוֹלְדֹת" وتُقرأ توليدوث، والتي يمكن أن تتم ترجمتها باستخدام كلمة " أصول" أو "تاريخ".

إن الدلائل التي تُشير إلى أنَّ سفر التكوين هو سِفر كُتبَ بطريقةِ سردٍ تاريخيٍ هي دلائلُ واضحة، فلا يوجد ضِمن السفر أي إشاراتٍ إلى كون هذا السفر قد كُتب بطريقةٍ شعريةٍ أو بطريقةِ الأمثال. إنما نَجد بينَ طيّاتِه كلَّ الإشاراتِ التي تَدل على كونَه قد كتب بطريقةِ السَّرد التاريخيّ. ومن خلال السياق الأدبي يَظهر لنا جلياً بأن موسى قد قصدَ أن يؤخذ هذا السفر بطريقة حرفية كتأريخٍ لما يقرب من أول ألفيّ عام من الكون. وإن لم يُرِد القرّاء أن يأخذوا السِّفر على هذا الأساس، لن يقدّموا حينها تفسيراً يتماشى مع معنى النص. وبكلمات أُخرى يمكن القول إن تفسيرهم سيكون خاطئاً.

السّماح للكتاب المُقدَّس بأن يُفسِّر نفسه

ليست قواعد اللغة والسياق الأدبي هي السبيل الوحيد لكي نتعلم عن الكيفية التي يجب أن نقوم وفقها بقراءة وتفسير الكتاب المُقدَّس، فالكتاب المقدس نَفسَه يُعلِّمُنا عن الكيفية التي يجب علينا أن نتعامل من خلالها مع النصوص المُقدَّسة. وذلك من خلال النظر إلى الكُتَّاب الآخرين للوَحي المقدس والطريقة التي تعاملوا بها مع الأسفار الأُخرى. ولن يكون الأمرُ أشدَّ وضوحاً من أن نعود إلى مؤلّف الكتاب المقدس نفسه - الربُّ الكلمةُ يسوعُ المسيح نفسه. فكيف كان تفسير يسوع المسيح لسفر التكوين؟

تفسير يسوع المسيح لسفر التكوين

إن يسوعَ المسيح قد استشهَد بآياتٍ من العهدِ القديم، وقد أجاب المعترضين مبتدءاً بالقول "مَكْتُوبٌ" أو "أَمَا قَرَأْتُمْ" مُتْبِعاً إياها بالإقتباس المُتَّصِل بالموضوع. (انظر متى ٤: ٤؛ ١٢: ٣). وغالباً ما يتفاجأ الناس حين يعرفون عدَدَ المرّاتِ التي استخدمَ يسوع اقتباساتٍ من سفرِ التكوين - فإنَّ عددَ المراتِ التي أشارَ فيها إلى سفرِ التكوينِ منَ الكَثرةِ أنها تُكافئ المرّاتَ التي أشارَ فيها إلى بقيةِ أسفار العهد القديم مُجتمعةً. بشكلٍ تقريبيّ إنَّ نصفَ الإقتباساتِ التي أشارَ فيها المسيحُ إلى الوحيِ المقدسِ كانت من سفرِ التكوين. فمن الواضح أنَّه كان عارفاً بشكل جيّدٍ أهمية موضوع الأصول.

بالإضافة إلى ذلك فإن يسوع المسيح لم يتعامل مع سفر التكوين بطريقةٍ مَجازية، شِعريةٍ، أُسطوريةٍ أو بِطريقة الأمثال. فيسوعُ قد تكلَّمَ عن موسى، وقد أشار إليه بوصفِه شَخصيّةً حقيقيّة تاريخية (يوحنّا ٥: ٤٦-٤٧). ولا يوجد أي تلميح إلى أنّ يسوع قد أخذ أي سردٍ من سفر التكوين على أساسٍ غير أساسِ كونَه سرداً تاريخياً. في الحقيقة، إن يسوع المسيح كان فاهماً أن أساسات الحقائق الأخلّاقية للمسيحية تقع في سفر التكوين التاريخي. وهذا ما قام بعرضِه في تعليمِ الزواج.

في متى ١٩: ٣-١٢ أتى الفريسيّون مُعتَرِضين ومُجَرِّبين يسوع بسؤالٍ عن الزواج. وقد أرادوا تحديداً أن يعرفوا فيما إذا كانَ يحق للرجلِ أن يطلّقَ زوجتهُ لأيِّ سببٍ. وكان ردُّ يسوعَ بأنَّ الطلاق قد سُمحَ به بسببِ عدمِ الوفاء أي الخيانة. ثم أسهَب بالشَّرح

لهم قائلاً بأنه قد أصبح ضرورياً نتيجة لقساوة قلبِ الإنسان. بما معناه، لو كان البشرُ صالحينَ في مواقِفِهم وأعمالِهُم، لما كان هنالك من حاجةٍ لوجودِ قانونٍ يتعلّقُ بالطلاق، إذ أنَّه ليس من وجودٍ للخيانة في تلك الحالة. إن الله أراد أن يكون الزواجُ مبنياً على رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ يتّحِدانِ ويصيرُ الإثنان جسداً واحداً طوال الحياة. لذلك يسوع المسيح قد اقتبسَ من من الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين مبيّناً أن أساس مفهوم الزواج (كذلك الأمر بالنسبة لقاعدة القانون المؤسف المتعلق بالطلاق) إنما هو في سفرِ التكوينِ التاريخيّ.

يزعَمُ بعضُ الناس مخطئين بأن الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين يقدمان روايتين متناقضتين للخلق. إلا أن يسوع المسيح (الذي هو الله الكلمة مُعطي الوحي للنص الوارد في سفر التكوين) اقتبسَ منهما في نَفَسٍ واحدٍ. ولم يرى أي تناقضٍ بينهما لأن هكذا تناقض لا وجود له. ببساطة، إن الإصحاح الثاني هو وصف تفصيليّ لأحداث اليوم السادس من أيام الخلق.

يميل عدد كبير من المسيحيّين إلى مزج الإيمان بالتطور، بإيمانهم بالمسيح. لكنه من الواضح أن المسيح قد قبِلَ وعلَّمَ بتاريخيّة سفر التكوين. فلماذا لا يقوم بذلك كل من اتَّبعَ المسيح؟ وإن لم يكن من الممكن أن نثق بأن المسيح كان مُحقّاً فيما يتعلق بتاريخ العالم، كيف يمكننا أن نثقَ بأي تعليمٍ آخر قد علَّمهُ؟

تفسير الرُسُل لسفر التكوين

إن الرُسُلَ قد فهموا أيضاً أن سفر التكوين يقدّمُ سرداً للتاريخ الحقيقيّ للعالم. فالرسول بولس الذي قد كتبَ بالوَحيِ المقدس ما يَقرُبُ مِن نِصفِ أسفارِ العهد الجديد، كانَ قد أشارَ إلى آدم وحوَّاءَ على أنَّهُما شَخصيَّتَان حقيقيّتان (انظر رومية ٥: ١٢-١٤؛ ١كورنثوس ١٥: ٢١-٢٢؛ ٢ كورنثوس ١١: ٣) وقد قام بشرح العقائد المسيحيَّةَ بالإستناد إلى هذه الحقيقة (مثال. ١ تيموثاوس ٢: ١٢-١٥). و في الحقيقة نجد أن مجملَ التعليم اللاهوتي الذي يُستَخلَصُ من كتابات بولسَ الرسول سوف يَسقُطُ في حال لمْ يَكُنْ سفرُ التكوين قد قدَّم تاريخاً حقيقيّاً.

على سبيل المثال، لقد قارَنَ بولس بين المسيح وآدم في رسالة كونثوس الأولى ١٥: ٢١-٢٢. حيث أشار إلى المسيح على أنَّه "آدم الأخير" الذي أخذ موضعَ آدم الأوَّل على الصليب (١ كورنثوس ١٥: ٤٥-٤٧). فإن كان آدم الأول مجرد شخصيَّة خيالية، حينئذٍ لن يكون للمقارنة التي قام بها بولس أي معنىً.

بُطرسُ الرسولُ هو الآخرُ قد أخذَ سفرَ التكوينِ على أساسٍ حرفيّ. فقد كتبَ عن نوحَ والطوفانَ على أساسِ أنهُ التاريخ الحقيقيّ (١بطرس ٣: ٢٠؛ ٢بطرس ٢: ٥). ومن الواضح أيضاً أن يوحنا الرسول قد آمن بأنَّ سفرَ التكوينِ هو سفرٌ تاريخيٌّ، على اعتبارِ أنه كتبَ عن قايينَ وهابيل (١يوحنا ٣: ١٢). يهوذا الآخر أشار إلى الأشخاصِ

والأماكنِ والأحداثِ التي ذُكِرَت في سفرِ التكوين: سدوم وعمورة (يهوذا ٧)، موسى (يهوذا ٩)، قايين (يهوذا ١١). يعقوب الرسول أيضاً أشار إلى ابراهيم على أنه شخص حقيقيّ (يعقوب ٢: ٢١). وفي رسالة العبرانيين نجد إشارات إلى عدد من الأشخاص المذكورين في سفر التكوين: قايين وهابيل (عبرانيين ١١: ٤)، أخنوخ (عبرانيين ١١: ٥)، نوح (عبرانيين (١١: ٧)، وابراهيم (عبرانيين ١١: ٨). فكل الإصحاح الحادي عشر لن يحملَ أيَّ معنىً فيما لو لم تكن هذه الأسماء لشخصياتٍ حقيقية. وسوف لن نجد في أي مكان في الكتاب المقدَّس إشارة إلى أن سفر التكوين يؤخذ على أساسٍ غير أساسِ أنَّه السفر التاريخي الذي يسرد الأحداث الحقيقية.

الفصل الثالث

الإطار الزمني للخلق

"لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ."
الخروج ٢٠: ١١

إنَّه من غيرِ المُمكن أنْ يتمَّ تقديمُ تفسيرٍ لسفر التكوين بحيث يتوافقُ من خلاله مع التطوّر. فإنَّ موسى حينَ كتبَ السِّفرَ كانَ يريدُ لنا أن نفهمَ أنَّ الله خلقَ السماءَ والأرضَ بطريقةٍ معجزيّةٍ. فإنَّ الله قدْ خلقَ الأشياءَ بكلمَتِه منَ العدمْ دونَ أن يكونَ لها أيُّ وجود مسبق. لكنَّ السؤالَ المطروح : كم هو مقدارُ الزمنِ الذي مرَّ منذُ أن خلقَ الله الكونَ؟

إن القراءةَ الأمينةَ لنصِّ سفرِ التكوينِ تقدِّمُ الإقتراحاتَ التاليةَ:

١. خلقَ اللهُ السماواتَ والأرضَ وكلَّ شيءٍ فيها في سِتَّةِ أيامٍ ومن ثمَّ استراحَ في اليومِ السابعِ.

٢. انَّ اسبوعَ الخلقِ هذا قدْ وقعَ مُنذُ ما يَقرُبْ منْ سِتَّةِ آلافِ عام، حيثُ يتمُّ الوصولُ إلى هذا الرقمِ من خلالِ سلاسلِ النسبِ المُسَجَّلَةِ، ونعرفُ بأنَّ ابراهيمَ قد عاشَ حوالي العام ٢٠٠٠ قبلَ الميلاد.

٣. إن الطوفانَ الموصوفَ في سفرِ التكوينِ ٦-٨ كان طُوفاناً عالمياً، قَضى على كُلِّ الحيواناتِ والبشرِ عدا أولئكَ الذينَ حُفظوا على متنِ الفُلْكِ الذي بناهُ نوحٌ. وبالرغمِ من أنَّ الكتابَ المقدسَّ لا يتكلمُ عن المُستحاثَّاتِ بشكلٍ مباشرَ، إلا أنَّ معظمَ المُستَحاثَّاتِ التي تتواجدُ على الأرضِ هيَ نتيجةٌ للطوفانِ.

وبالتالي، فإنْ كانَ سِفرُ التكوينِ -كما سبقَ وأظهرنا- هوَ سردٌ تاريخيّ دقيقٌ، حينها سيكونُ مِنَ الطبيعيّ أن نستنتجَ أنَّ مؤلِّفَ سِفرِ التَّكوينِ أرادَ بالحقيقةِ أن يُقدِّمَ لنا ما مفادهُ أنَّ الخلقَ قد تَمَّ في مُدَّةِ سِتَّةِ أيامٍ، منذُ بِضعَةِ آلافٍ مِنَ السنينِ، وأنَّ طوفانَ نُوحٍ كانَ حدثاً حقيقيّاً، ذا امتدادٍ عالميّ.

إنَّ هذا الأمرُ يَسيرُ باتجاهٍ مُغايرٍ لما يتعلَّمَهُ النَّاسُ في أغلَبِ المدارسِ حولَ العالم. فنحنُ بالعادةِ نتعلَّمُ أنَّ عُمُرَ الأرضِ ٤,٥ مليارَ عامٍ وبأنَّ الكونَ أقدمُ من ذلكَ - حيثُ يعودُ إلى ما يَقرُبُ من ١٣ مليار عام![5]

ومِنَ المُفتَرضِ أنَّ العَمَليّاتَ التي أدّت إلى تَشَكُّل الأرض قد استمرَّتْ لملياراتٍ مِنَ السنواتْ، وليسَ خلال فترةٍ تقتصرُ على سِتَّةِ أيامٍ. كما أنَّ المستحاثاتَ بحسبِ ما يُقالُ قَد تَشكَّلَت على امتدادِ مئاتِ الملايينِ من السنواتِ، وليسَ كنتيجةٍ لحدثٍ كارثيٍّ هو الطوفانُ الذي حدثَ أيامَ نوح. وفي الحقيقةِ، إنَّ الإعتقادَ العلمانيَّ التقليديَّ يقولُ بأنَّ الأرضَ لمْ تغطى بشكلٍ كاملٍ بالمياهِ منذُ تكوينها. كما يتمّ الترديدُ وبشكلٍ دائمٍ أنَّ التأريخَ بالنظائرِ المُشعّةِ يثبتُ أنَّ عمرَ الأرضَ يصلُ إلى ملياراتِ السنواتِ. ولهذا السبب نجدُ أنَّ الكثيرَ منَ المسيحيّينَ يميلونَ إلى محاولةِ الإلتفافِ على نصِّ سفرِ التكوينِ في محاولةٍ لإقحامِ الإطارِ الزمنيِّ العلمانيّ. لكن بما أنَّ سفرَ التكوينِ هوَ سردٌ تاريخيٌّ، فيجبُ قراءَةُ النصِّ بطريقةٍ أمينةٍ ومباشرةٍ ذلك إن كانت غايَتُنا أن نفهمَ القصدَ الذي أرادَ المؤلّفُ أن ينقُلَهُ إلينا . فكيفَ يمكنُ لأيِّ شخصٍ أن يُحاجِجَ ويُجادِلَ بأنَّ سفر التكوين يسمحُ ويؤيّدُ الأعمارَ السَّحيقَةَ ذاتَ الملياراتِ منَ السنواتِ؟

سيقومُ البعضُ منَ الأشخاصِ (بشكلٍ سليمٍ) بالإشارةِ إلى أنَّهُ حتى في إطارِ السَّردِ التَّاريخيِّ يردُ استعمالٌ للتعابيرِ المجازيَّةِ. وقد يشيرونَ أيضاً (بشكلٍ سليمٍ) إلى أنَّ الكلماتَ لا تُتَرجَمُ بشكلٍ دقيقٍ دائماً من أصلها العِبرِيّ إلى اللُّغاتِ الأُخرى. وفي حال أخذنا ما سبقَ بعينِ الإعتبارِ، فهل سيكونُ منَ المُمكِنِ أن يَسمَحَ سِفرُ التكوينِ بوجودِ الأعمارِ السحيقةِ ذاتِ الملياراتِ منَ السَّنواتِ؟ هل هو أمرٌ ممكنٌ أن نكونَ قد أسأنا فهمَ النصِّ كنتيجةٍ لسوءِ الترجمةِ أو لعدمِ فهمِ بعضِ الصِّيَغِ المجازيَّةِ غيرِ المألوفةِ؟

الموقف القائل بأن كلمة "يوم" تعني حُقبَةً زمنيةً

يقول البعض مجادلين بأن الكلمة التي تترجم على أنَّها "يوم" في الإصحاح الأول من سفر التكوين كان من الواجب أن تتمَّ ترجمتها باستعمال كلمة "حُقبَة أو زمن". وبالتالي فإنَّهم يقولون بأن الله لم يُتِمَّ عمل الخلق في ستة أيام اعتيادية، إنما استغرق ستةً من الحُقب الزمنية الطويلة - وكل منها قد تمتد إلى ملايين من السنوات. فهم بذلك يقولون بأن سفر التكوين هو سردٌ تاريخي، قد أُسيئت ترجمته وبالتالي أُسيء فهمه.

الأمر المؤسف أننا نجد هذا الموقف منتشراً ويمتلك شعبية قوية في الكنيسة. والنقطة المؤيدة لهذا الموقف هي أن الكلمة العبرية الواردة في الإصحاح الأول والتي تشير إلى اليوم "יום وتُقرأ يَوم"، قد تعني في بعض الأحيان فترةً زمنيةً تمتد لأكثر من

---

5 عمر الكون هو رقم متغير من سنة إلى أُخرى ، ومن الممكن أن تجد أرقام تشير إلى ١٤ أو ١٤,٧ مليار عام، ذلك بحسب المصدر الذي يتم اعتماده.

أربعِ وعشرين ساعة. على سبيل المثال "فِي أَيَّامِ شَاوُلَ" (١ أخبار ٥: ١٠)، أو "يَوْمَ الرَّبِّ" (يوئيل ٢: ١).

من المؤكد أن كلمة يوم قد تعني مدة زمنية أطول من ٢٤ ساعة في سياقات محددة للنص، لكن هل هو أمر مُمكن أن تحمل معنى "حُقبة زمنية" في سفر التكوين؟

عادة ما يقوم المدافعين عن هذا الموقف بتأييد موقفهم من خلال إقتباس حزء من رسالة بطرس الثانية ٣: ٨. "أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ". حيث يقدمون الأدعاء بأن الزمن يختلف كثيراً عند الله، وبالتالي فإن أيام التكوين لايجب أن تُفهَم على أنها أيام اعتيادية من منظور بشري، إنما يجب أن يتم النظر إليها على أساس كونها حُقَب زمنية طويلة. فهل هذه الآية تتناول أيام التكوين وتخبرنا بالفعل بأنها آلاف السنوات؟

قد يبدو هذا الجدل منطقياً إلا أن الإجابة هي النفي القطعيّ. إن سياق هذه الآية يتعامل مع موضوع محدد وهو إدعاء البعض بأنَّ الله تأخر في تنفيذ وعده بالعودة، وهي لا تتناول بأي شكل من الأشكال أيام الخلق!

حتى وإن كان بطرس قد شَمَل أيام الخلق على أساس أنَّ كل منها ألف سنة، فهذا الأمر لن يساعد المدافعين عن الحقب طويلة الأمد إذ أنَّ ذلك سيمدد الإطار الزمني للخلق ليقرب من ١٢٠٠٠ عام بدلا من ٦٠٠٠. إلا أن الموقف القائل بأن كلمة يوم هي حقبة زمنية طويلة يحاول ان يمدد التعليم الكتابي ليتوافق مع الإطار الزمني العلماني المُمتد لمليارات السنوات.

وتجدر الإشارة إلى أنّ المدافعين عن هذا الموقف يميلون لاقتباس الجزء الأول من الآية تاركين الجزء الثاني منها. ففي الوقت عينه الذي تقول الآية أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، نجد التتمة تقول أيضاً "وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ". وبالتالي إن كان من المنطقي أن قراءة المقطع الأول من الآية تفيد بتمديد الفترة الزمنية، فإن ذات المنطق ينطبق أيضاً على المقطع الثاني حيث أنّه سيقصّر الزمن. فنستطيع ان نجادل بأن ٢٠٠٠ سنة بين ابراهيم والمسيح ليست أكثر من يومين اعتياديّين من أربعٍ وعشرين ساعةٍ وذلك بالإعتماد على المقطع الثاني من الآية.

إنه لمن السخف أن نجادل هكذا! ولكن للأسف نجد اولئك الراغبين بايجاد تسويات يتنازلون عن الدقة التي في سفر التكوين غير ملاحظين سُخف الموقف الذي يتخذونه بتطبيق جزء مقتطع من الآية خارج سياقه الأدبي والنصي.

إن الآية التي ذكرناها في رسالة بطرس الثانية ٣: ٨ تشير وببساطة شديدة إلى أن الله غير خاضع للزمن (هو فوق الزمن)- فالألف عام عند الله ليست أكثر من يوم واحد.

بعد هذا يأتي البعض الآخر محاولين أن يقتنصوا الكلمات فيقولون "بما أن الله هو خارج الزمن، هذا يعني أنَّه حين تكلم عن 'اليوم'، ذلك قد يعني حقبةً زمنيةً طويلةً.

" لكن هذا الافتراض بعيد كل البعد عن المنطق. فنظراً لكون الله خارج حدود الزمن، فإنه حين يتكلم عن الزمن مستخدماً فترةً زمنية معينة، فلابد أن تكون هذه الفترة مفهومةً من المنظور البشري.

"اليوم" في سياقه النصي

إن الكلمة العبرية "يوم יום" قد تعني واحداً من عدّة معانٍ وذلك بالإعتماد على السياق الذي ترد فيه. ومن الطبيعي أن معناها الاعتيادي التقليدي هو يوم من ٢٤ ساعة أو الجزء المضيئ منه. وهي أيضاً قد تشير سنة أو إلى مدَّة غير محدَّدة من الزمن. لكن هذا وارد أيضاً في جميع اللغات تقريباً كما في العربية. ومن المرجح أنك قد سمعت عبارة "في أيام جَدِّي أو أجدادي" وهنا نجد أن كلمة أيام تشير إلى مدة من الزمن. ومن الممكن أن يتم استعمال الكلمة بأكثر من طريقة في الجملة الواحدة مثلاً "سابقاً في أيام أجدادي كانت الرحلة بين مدينتي دمشق وحمص تستغرق ثلاثة أيام". أعتقد أنه لا يوجد شك بأن أي قارئ للغة العربية سيفهم من سياق النص أن الاستخدام الأول لكلمة " أيام" هو استخدام مجازي يشير إلى الزمن الذي عاش فيه الأجداد، في حين أن الاستخدام الثاني للكلمة يشير إلى يوم اعتيادي من أربعٍ وعشرين ساعة وخصوصاً أنه أتى بعد عدد. وبالتالي فإن السياق يحدد المعنى.

إن الأمر مشابه فيما يتعلّق بالكلمة العبرية "يوم" فالسياق هو الذي يحدّد المعنى ويوضّحه. على سبيل المثال، حين يتم استخدام كلمة يوم مرفقةً بعدد كجزء من قائمة مرتّبة "يوماً واحداً، يوماً ثانياً، يوماً ثالثاً" فإنها تترجم "يوم" (دون أي استثناء في الكتاب المقدس) وتعني دائماً يوم اعتيادي من ٢٤ ساعة. فحين كان يونان في بطن الحوت "ثلاثة أيام" لن نجد أي شك بأنها كانت أيام اعتيادية من ٢٤ ساعة وليس عقود أو أزمنة غير محدَّدة. عندما يتم ذكر "اليوم" في سياقٍ يستخدم تعبير "صباح" فمن الطبيعي أنه يعني يوماً اعتيادياً. كما في قولنا "لقد مضى الصباح سريعاً في ذلك اليوم". وكذلك هو الحال في سياق يستخدم تعبير "مساء" وهو أمر بالغ الوضوح أن كلمة يوم تعني يوماً اعتيادياً. وقد ورد هذا ٢٣ مرة في العهد القديم (عدا سفر التكوين)، ولايوجد أي جدال حول أي من تلك الآيات على أن كلمة يوم فيها تحمل أي معنى آخر عدا أنه يوم اعتيادي.

وحين يتم الجمع بين "صباح" و "مساء" فإنه من الطبيعي أن الإشارة هي إلى يوم اعتيادي، حتى في حال عدم استخدام كلمة يوم، ذلك أن المساء والصباح هما علامتا حدود اليوم. وحين ترد كلمة يوم مع كلمة "ليلة أو ليل" فإن المعنى الواضح يشير إلى يوم اعتيادي. وهذا ورد في العهد القديم أكثر من ٥٠ مرّة خارج الإصحاح الأول من سفر التكوين، ولا يوجد أي شك بأن معناها هو يوم اعتيادي.

والآن، مالذي نتعلمه من سياق النص في الإصحاح الأول من سفر التكوين؟

فلنتأمل في الآية الخامسة "وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا." نجد أن كلمة "يوم" مرتبطة مع كلمة "ليل" في الجملة الأولى من الآية الأمر الذي يدلّ على يوم اعتيادي. وفي الجملة الثانية نجد أن كلمة يوم مترافقة بعدد "يَوْمًا وَاحِدًا" (وقد ترد في بعض الترجمات "اليوم الأول"). وهذا يشير إلى يوم اعتيادي. لكن نحن نرى أيضاً أن كلمة يوم أتت في سياق ترافقت فيه مع كلمتي "مساء" و "صباح" حيث تشير كل منهما في حال ارتبطت مع كلمة "يوم יוֹם" إلى يوم اعتيادي، وليس إلى حقبة غير محددة من الزمن. إضافةً إلى ذلك نجد "مساء"و"صباح" الذان يشكلان معاً يوماً اعتيادياً. وبالنظر إلى السياق، فإن التفسير الحرفي لهذه الآية يحمل معنى شديد الوضوح هو أن اليوم الأول من أيام الخلق كان يوماً اعتيادياً من أربعٍ وعشرين ساعة!

ماذا عن بقية أيام الخلق؟
نجد في كل آية من الآيات التي توصِّف أحداث بقية أيام الخلق عبارةً تقول "وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا [ثانياً، ثالثاً، رابعاً،...]". وكل يوم من أيام التكوين الستة يمتلك في سياق الآيات التي تصف أحداثه على الأقل أربعة علامات في السياق تشير إلى أن معنى "يوم" هو يوم اعتيادي من ٢٤ ساعة. وعلى مايبدو أن الله أراد أن يزيل أيّ التباسٍ قد يتسبب بإساءة فهم مدة اليوم. ويمكننا أن نثق بأن أيام التكوين الستة كانت أياماً اعتياديةً بالمعنى التقليدي للكلمة.

لكن ماذا عن اليوم السابع؟ حيث لا نجد كلمة يوم مترافقة مع كلمة "مساء" و" صباح". ولذلك نجد البعض ممن يقترحون أن هذا اليوم قد يسمح لهم بإقحام مليارات السنوات إلى اليوم السابع. ولكن هذا النوع من التفكير هو خاطئ للغاية.

فقبل كل شيء، إن كل يوم من أيام التكوين السبعة يظهر في سياقه مترافقاً مع عدد. ونجد أن سفر التكوين ٢: ٢-٣ يشير إلى اليوم السابع على أساس أنه اليوم الذي استراح به الرب. وعلى اعتبار أن كلمة يوم ترافقت مع عدد فهذا سيحدد المعنى بكونه يوماً اعتيادياً. لكن فلنفترض جدلاً أن اليوم السابع كان أطول مدّةً من اليوم الإعتيادي، فإن عمر الكون سيبقى في حدود ٦٠٠٠ عام. تذكَّر، لقد خُلِقَ آدم في اليوم السادس وليس في اليوم السابع (تكوين: ٢٦-٣١). ومن خلال سلسلة النسب المُسجلة في الإصحاح الخامس من سفر التكوين (ومن السلاسل الأُخرى) نعرف بأن الزمن الفاصل بين آدم وابراهيم هو بحدود ألفي عام.

وبالتالي، إن كنّا نحاول حساب عمر الكون، فإن طول اليوم السابع لن يحمل أي تأثير. إنها ستة أيام قبل آدم، إضافةً إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ سنة التي تفصل بين آدم وابراهيم، إضافةً إلى ما يقرب من ٤٠٠٠ سنة بين ابراهيم ووقتنا الحاضر ستكون النتيجة الإجمالية تقرب من ٦٠٠٠ سنة.

إن الإدعاء الأخير (بأن اليوم السابع لم يكن يوماً اعتياداً لعدم احتواء النص على كلمتي "مساء" و "صباح") هو اعتراف ضمني بأن الأيام الستة الأولى هي بالحقيقة أيام تقليدية، حيث أننا نجد في النص المرافق لها كلمتي مساء وصباح. وهذا يظهر أن منتقدي الخلق التوراتي لا يعرفون بالحقيقة أن الكتاب المقدس يعلّم بأن اليوم السابع هو يوم راحة، وليس يوماً للخلق. ولذلك تم ادراجه بطريقة تختلف بشكل طفيف. لكن النص لا يزال يحمل العدد المرافق لليوم ولذلك فإنه لابد من أن يكون يوماً اعتيادياً.

وقد يقول البعض:"إن الشمس لم تُخلَق حتى اليوم الرابع، فكيف يكون اليوم اعتيادياً؟" إن هذا الإعتراض ينجم عن سوء فهم لعلم الفلك. فالشمس ليست هي الأمر الذي يحدّد طول اليوم - إنما دوران الأرض حول محورها هو من يقوم بذلك الدور. فالشمس هي وببساطة مصدر دائم نسبياً للضوء، وثم من ثمَّ حين تدور الأرض حول محورها نختبر نحن المساء والصباح؟ فطالما أن الكوكب يدور حول محوره ويوجد مصدر للضوء سيكون اليوم اعتيادياً.

فهل كان هنالك من ضوء قبل أن تخلق الشمس؟
نعم! فنحن نقرأ في التكوين ١: ٣ "وَقَالَ اللهُ: »لِيَكُنْ نُورٌ«، فَكَانَ نُورٌ." ففي الأيام الثلاثة الأولى من التكوين كان هنالك نور وبالرغم من أن الكتاب المقدس لا يحدد مصدر هذا النور إلا أنه وعلى ما يبدو أن الله قد وضع مصدراً "مؤقّتاً" للنور وذلك إلى حين خلَقَ الشمس كمصدر رئيسي له. والأرض كانت للتو تدور حول محورها في الأيام الثلاثة الأولى، ونحن نعرف ذلك لأننا نقرأ "مساء" و "صباح" في النص الكتابي. وبالتالي فإن كل يوم من أيام الخليقة كان يوماً اعتيادياً من ٢٤ ساعة.

وفي محاولة يائسة وأخيرة يقوم البعض بطرح هذا الإدّعاء: "بما أنّ طُرُقَ الرب ليست كطُرُقنا (أشعياء ٥٥: ٨)، لربما تكون أيام الرب هي الأُخرى ليست كأيّامنا. فحين يتكلم الرب عن 'اليوم' لا يقصد به يوماً بالمفهوم الذي يقصده البشر حين يتحدثون عن اليوم." وللأسف الشديد يوجد بعض الأشخاص الذين يحاولون أن يقدموا جدالاً مبنياً على هذه الفكرة. لكن إن كانت الكلمات تعني أشياء مختلفة بالنسبة للأشخاص المختلفين، فحينئذٍ لن يكون التواصل أمراً ممكناً. وفي حالة مماثلة، ستكون قراءة الكتاب المُقدَّس عديمة الجدوى إذ أن الله حين يقول "فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا." (حزقيال ١٨: ٣٢)، فإنه من الممكن أنه يعني "ضعوا لُباناً في آذانكم."

ترتيب أحداث أسبوع الخلق والإطار الزمني العلماني

إن المسيحيّين الذين يعتقدون بأنهم قادرون على التوفيق بين الكتاب المُقدَّس والإطار الزمني العلماني من خلال افتراض أن أيام الخلق كانت عبارةً عن حقب زمنية طويلة، هم يُغفِلون تناقضاً مهماً للغاية - ألا وهو ترتيب الأحداث. حتى وإن قُمنا

بافتراض أن أيام الخلق كانت حُقباً زمنيةً طويلةً، فإن ترتيب الأحداث لن يتوافق فيما بين الكتاب المُقدَّس والإطار الزمني العلماني/ التطوري.

✦إن الكتاب المُقدَّس يعلّم بأن الأرض قد خُلِقَت في اليوم الأول في حين أن النجوم قد خُلِقَت في اليوم الرابع. لكننا نجد أن الإطار الزمني العلماني يقول بما يُخالف ذلك، فالعلمانيون يؤمنون بأن النجوم قد وُجِدَت قبل الأرض بمليارات السنين.

✦إن الكتاب المُقدَّس يُعلِّم بأن الأشجار المُثمِرة قد خُلِقَت في اليوم الثالث، وبأن الأسماك قد خُلِقَت في اليوم الخامس. لكن الإطار الزمني التطوري يُعلِّم بأن الأسماك قد تطوَّرت قبل الأشجار المُثمرة بزمن طويل جداً (ذلك أن الأسماك قد وُجِدَت في طبقات صخرية أعمَق من التي وُجِدَت فيها الأشجار المُثمِرة).

✦إن الكتاب المُقَدَّس يُعلِّم بأن الطيور قد خُلِقَت في اليوم الخامس، والحيوانات البرية في اليوم السادس[6]. إلا أن الإطار الزمني العلماني يقول بأن الديناصورات قد تطوَّرت قبل الطيور.

ماذا عن نظرية الفجوة الزمنية؟

لا يوجد أي تفسير منطقي سيقدم مُبَرِّراً للإعتقاد بأن أيام التكوين كانت أكثر من أيام اعتيادية ذات 24 ساعةٍ. وبالرغم من ذلك نجد بعض المسيحيّين يشعرون بأنَّه من الواجب عليهم أن يقبلوا الفكرة العلمانية القائلة بمليارات السنين. وبناءً عليه فقد اقترح البعض منهم بأنه وعلى الرغم من كون أيام الخلق كانت أياماً اعتياديّة، إلا أنَّه يوجد فجوة زمنية ضخمة قبل اليوم الأول. فهم يحاولون أن ينظروا إلى أسبوع الخلق على أنه أسبوعٌ لإعادة الخلق. فالبعض ممن يتخذون هذا الموقف يعتقدون بأن: الله قد خلق العالم قبل بضعة مليارات من السنين، ثم قد فسد ذلك العالم، ربما بسبب الشيطان، وبالتالي فإن أسبوع الخلق ليس إلا انعكاساً لعمل الله في (إعادة) تكوين العالم في ستة أيام اعتيادية. هذا ما يُدعى "بنظرية الفجوة الزمنية" وذلك أنَّ المدافعين عنها يعتقدون بوجود فجوة زمنية ضخمة تمتد لمليارات السنوات وتتموضع بين الآيتين الأولى والثانية من الإصحاح الأول من سفر التكوين.

"فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ." (تكوين 1: 1). حيث يعتقد المؤمنون بنظرية الفجوة بأن هذه الآية تشير إلى الخليقة الأصلية التي حدثت قبل عدة مليارات من السنين. "وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً..." (تكوين 1: 2). وهنا يفضّل أصحاب

---

6 الحيوانات البرية تشمل جميع أنواع الحيوانات التي تعيش على اليابسة بما في ذلك الديناصورات.

نظرية الفجوة أن يقوموا بترجمة هذا المقطع من الآية على الشكل التالي: "وَأصبَحَتْ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً..." حيث يرون أن هذه الآية تحدث بعد مليارات السنين وذلك في وقت وبعد تاريخٍ غير مُسجَّل مليء بالموت والمعاناة.

لا يوجد أي قاعدة منطقية تُبرِّر وجود "فجوة" زمنية بين الآيتين الأولى والثانية. ولا يوجد أي مُبَرّر أيضاً لمحاولة ترجمة كلمة "كانت" على أنها "أصبحت". والحقيقة أن تركيب قواعد اللغة العبرية لا يسمح البتة بوجود أي فجوة زمنية بين هاتين الآيتين. وإليكم الأسباب.

إن الإصحاح الأول من سفر التكوين يستخدم بشكل متكرر واو العطف التي تفيد المشاركة والترتيب (consecutive)، والتي يمكن تمييزها من خلال حرف العطف "و" يُتبع بفعل (عَمَلْ). وذلك كما في "وقال الربّ... وعَمِلَ الربّ." إن الأعمال التي تحدث على التتالي تحمل هذه البنية القواعدية. لكن التكوين ١: ٢ هو أحد استثنائات هذه القاعدة لتركيب الجملة. فهنا لا نجد "و" التي تفيد التتالي والترتيب إنما هي "و" الفصل (أو القطع disjunctive) حيث أنها أُلحقت باسم وليس فعل. حين نقرأ الترجمة إلى اللغات الأُخرى غير العبرية لا نلاحظ الفرق بوضوح. إلا أننا حين نرى " والأرض كانت (بحسب الترتيب العبري للكلمات في الآية)" فنحن نعرف أنها واو الفصل (القطع)، التي وبشكل مخالف لواو المشاركة، لا تشير إلى سلسلة من الأحداث المُتعاقبة؛ إنما تشير إلى أن الآية الثانية تقدم تعليقاً أو وصفاً مرتبطاً بالآية الأولى. أي أنها تقدم حالةً أو تفسيراً.

إن التكوين ١: ٢ تقدّم تعليقاً يصف حالة الأرض عند تكوينها. فواو الفصل (القطع) في هذه الحالة تشبه استخدامنا للتعليق الذي نضعة قاب قوسين ويمكن كتابتها بالشكل التالي: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. (وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً)". إن نظرية الفجوة الزمنية قد دُحِضَت بشكل كامل ولذلك فهي ليس مطروحة بكثرة في هذه الأيام.

الأيام الستة في الخروج ٢٠: ١١

إن كلاً من نظرية الفجوة، نظرية اليوم الذي يعني حقبة زمنية، بالإضافة إلى العديد من النظريات الهجينة، جميعها تُحاول أن تُدرِج مليارات السنين في الخلق التوراتي، وذلك في مُحاولة لتقديم قراءة شاذّة للنص الوارد في سفر التكوين وذلك هو أمر مناف للحقيقة التي يقصد مؤلّف الكتاب المُقدَّس إيصالها إلى القارئ، بالإضافة إلى أنَّها متضاربة وغير متّسقة مع بقية الوحي المُقدَّس. لكن الله، بصفته مصدر الوحي ومؤلّف الكتاب المُقدَّس، لا يترك كلمته دون دفاعٍ واضح وصريح. فلنتأمل في سفر الخروج ٢٠: ١١.

”أَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ.“

إن عبارة ”فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ“ تشير إلى فترة زمنية. لذلك فإن كُلَّ شيء سواء كان في السماء أو على الأرض (وهذا بالحقيقة يعني كل شيئ قد خلقه الربّ) كان قد خلقه الرب في ستة أيام.

وقبل عدة آيات نجد الوصيّة الرابعة: ”اُذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.“ (خروج ٢٠: ٨). فهذا هو النموذج الذي عمله الرب لنتَّبِعَه، ”سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ،“ (الآية التاسعة). لدينا الحق بأن نعمل ستة أيام في الأسبوع، ثم بعد ذلك نأخذ يوم راحةٍ وفقاً للوصية الرابعة. وفي الآية ١١ نجد تبريراً لسبب العمل ستة أيام والراحة في السابع وذلك أنَّ الله قد خَلَقَ كل الكون في ستة أيام واستراح في السابع. لكن إن كان الله قد خَلَقَ في فترة ممتدة لملايين السنين، سيكون لدينا أُسبوعاً طويلاً جداً!

فالواضح أنه يجب أن نَفهَم من الخروج ٢٠: ٨-١١ أن أسبوع العمل الذي نتَّبعه مبني على نموذج أسبوع الخلق. وحقيقةَ أنَّ كل الحضارات تقريباً تمتلك نظاماً أسبوعياً يعتمد على سبعة أيام إنما تُشير إلى أنهم امتلكوا معرفةً عن الخلق.

كما أن الخروج ٢٠: ١١ لا يسمح بوجود الفجوة الزمنية (الخَلق السابق) أو بأن الأشياء قد خُلِقَت قبل مليارات السنين. فالسماء والأرض والبحر وكل شي فيها، قد خُلِقَت في فترة زمنية من ستة أيامٍ اعتيادية. كما أن عبارة ” السَّمَاءَ وَالأَرْضَ“ هي تعبير مجازي يسمى merism، حيث أنَّه يتم استخدام وذكر نقيضين متعاكسين كبديل عن ذكر كل الأشياء التي تقع بينهما، كما في قولنا ”بحثت عنهم في شرق الأرض وغربها ولم أجدهم“ فعبارة ”شرق الأرض وغربها“ ما هي إلا استخدام النقيضين كإشارةٍ إلى أن البحث قد شمل جميع الأماكن ليس فقط في الشرق والغرب بل في كل مكان يقع بينهما. الخروج ٢٠: ١١ تذكر أيضاً البحر، ذلك خشية أن يميل أي شخص إلى الإعتقاد بأن ”الأرض“ تشير فقط إلى اليابسة (وهي قد تأتي بهذا المعنى ضمن سياق مُعيَّن). إن الآية تصرّح وبشكل صريح على أنَّ ”كُلَّ مَا فِيهَا“ قد خلقه الله وهو يعني كلَّ شيء!

إن الأدلة العلمية تؤكد أن الكون يعود إلى آلاف السنوات وليس مليارات (انظر كتاب بعنوان Thousands… not Billions للكاتب دون دي يونغ). أما في نظامنا التعليمي المُشبَّع بالأفكار التطورية فهكذا نوع من الأدلة لا يتم التطرق له كما يجب، وذلك كون النتائج والبيانات تشير إلى ما يناقض الإيمان بِقِدَم عمر الأرض. فما هي بعض تلك الأدلّة؟

بالعادة إن الكربون يسمى C-12؛ حيث أنّ الرقم ١٢ يشير إلى الكتلة الذرية، أي عدد البروتونات مضافاً إليه عدد النيوترونات في النواة. كما ويوجد نوع معروف من الكربون إنما هو أقلّ شيوعاً يسمى C-14 والذي يمتلك نيوترونان إضافيّان. وبشكل

مغاير للكربون ١٢، إن الكربون ١٤ هو عنصر غير مستقر- فهو وبشكل تلقائي يتغير (ينحلّ) إلى نيتروجين ضمن فترة زمنية تقدر بحوالي ٥٧٠٠ سنة. وهذه الفترة تُدعى " نصف حياة"، لأننا إن امتلكنا قطعة صلبة من الكربون ١٤ الصرف، فإن نصف هذه الكتلة سوف يتحلل إلى نيتروجين خلال ٥٧٠٠ سنة. فالكربون ١٤ لايمكن أن يصمد حتى لملايين السنين، ذلك أنَّه لن يتبقى ولا حتى أية ذرة واحدة منه. وقد أتت النتائج مفاجئة للتطوريّين ذلك أنّنا نعثر على الكربون ١٤ تقريباً في جميع الأشياء التي في السجل الأحفوري. حتى أننا نعثر على الكربون ١٤ في الماسّ الذي يفترض أنَّه يعود إلى مليارات السنين (بحسب المعتقد العلماني).لكن على ما يبدو من هذه النتائج فإن هذه الأشياء لايمكن أن تعود ولا حتى إلى مليون سنة وإلا لما كان من الممكن العثور على الكربون ١٤ فيها! إن المؤمنين بالتطور وبقدم عمر الأرض لابد أن يمتلكوا إيماناً أعمى بوجود نوعٍ ما من الآليات التي لم يتم استكشافها بعد والتي تعمل على تلويث مصدر المواد، وذلكَ على الرغم من عدم اكتشاف إيّ شيء مُشابه.

إن تحديد العمر من خلال النظائر المُشعَّة يُزعَم أنَّه يثبت أن الصخور تعود إلى مليارات السنين. إن هذا الأسلوب يعتمد على حقيقة أن الصخور تحتوي على أثر لبعض العناصر المُشعَّة مثل اليورانيوم ٢٣٨، الذي يتحلل عبر سلسلة من العناصر الأُخرى بمعدل بطيء نسبياً - وهو أبطأ بكثير من معدل تحلل الكربون ١٤. فإنه ومن خلال مقارنة نسبة العناصر الموجودة فيها ومع القيام ببعض الإفتراضات، يستطيع العلماء تقدير الزمن الذي تشكلت فيه الصخور لأول مرّة. لكن الأمر الذي من الصعب أن تكون قد سمعت عنه، هو أن الطريقة نفسها "تُثبت" أن بعض الصخور حديثة التشكُّل والتي تعود إلى بضعة سنوات فقط كنتيجة للإنفجارات البركانية قد تم تقدير عمرها بين مئات الآلاف إلى ملايين السنين!

لكن هذه الصخور ليست قديمة بتاتاً، فنحن قد عاينّا تشكّلها. وهذا يشير ضمناً إلى أن الصخور التي تم تحديد عمرها بملايين السنين إنما تعود بالحقيقية إلى عهود أحدث، بل وأحدث بكثير مما هو مُفتَرض. يوجد سلاسل طويلة من الأدلة التي يُمكن أن يتم تقديمها (وقد تم تقديم الكثير منها في عدد من المراجع) والتي يظهر من خلالها أن عمر الأرض يتوافق مع الإطار الزمني للكتاب المُقدَّس.

الفصل الرابع

أهمية الإطار الزمني للخلق

"كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ"
تيموثاوس الثانية ٣: ١٦

إن أساسات التعاليم المسيحية الرئيسية توجد في السرد التاريخي الحقيقي الذي يقدِّمَه سفر التكوين. ومن تلك التعاليم نجد كلاًّ من تعليم الزواج، قدسية الحياة الإنسانية، وحتى رسالة الإنجيل نجد أن هذه التعاليم ستفقد قيمتها بعيداً عن الخلق التوراتي. لكن ماذا عن الإطار الزمني للخلق؟ لقد رأينا أن الكتاب المُقدَّس يُعلم وبطريقة صريحة وغير قابلة للتجاهل أن الخلق قد حدث في ستة أيام اعتيادية، منذ بضعة آلاف من السنين. لكن هل هذا الأمر مهم حقاً؟ إن آمن المسيحيّ بالخلق، لكن في الوقت ذاته آمن بأنه قد استغرق عدة ملايين من السنوات، هل يشكل هذا قضيّة كبيرة حقاً؟

يوجد عدد لابأس به من المسيحيين ممن يعتقدون بأن الإطار الزمني لا يشكل قضية مهمة طالما أننا لانؤمن بالتطور. والبعض قد يؤمن حقاً بالخلق ذو الستة الأيام، لكنهم يفضّلون عدم طرح هذا الموضوع في النقاشات العامة إذ أنَّه قد يُسبِّب عثرةً للآخرين.

غالباً ما نستمع لصياغة ما تشبه الجملة التالية: "حين نشهد للناس عن المسيح، فلنتجنب موضوع الخلق ذو الستة الأيام. حيث أن معظم الناس يؤمنون بأن الكون يعود إلى ملياراتٍ من السنوات. لماذا نفتح المجال لنقاشٍ إضافيّ دون أن يكون ذا أهمية؟ بالنهاية ليس هو موضوعاً يتعلق بالخلاص. يجب علينا أن نختار معاركنا. لذلك فلنركز تعليمنا عن الخلاص الذي بالمسيح، وربما في وقتٍ لاحقٍ نتعامل مع المشاكل الصغرى مثل الإطار الزمني للخلق."

هل قضية الخلق هي قضية خلاص؟

إن موضوع الإطار الزمني للخلق هو قضية ذات أهمية أكبر بكثير مما يظن غالبية الناس، لكن هل يمكن للشخص أن يُخَلَّص (أي يخلص من خلال النعمة الإلهية بالإيمان بالمسيح يسوع) دون أن يؤمن بأن الله قد خلق الكون في ستة أيّام؟ إن الكتاب المُقدَّس واضح في هذا الخصوص - إن الإيمان بالخلق ذو الستة الأيام ليس شرطاً مُسبَقاً

للخلاص. نعم، بالطبع أنت تستطيع أن تخلص دون أن تلتزم بالإطار االزمني للكتاب المُقدَّس. ولكن في الوقت عينه، هذا لا يجعل من موضوع الإطار الزمني للكتاب المقدس موضوعاً جانبياً غير مهمٍّ. فإن رفض إي جزء من الكتاب المُقدَّس ليس بأمر مقبول؟

إن الكتاب المقدس يجعل الأمر بالغ الوضوح، إننا لا نَخلُص من خلال امتلاك التعليم اللاهوتي الكامل والمتقن. فنحن جميعنا نُخطئ في بعض الأحيان في فهمنا أو تطبيقنا للوحي المُقدَّس. لكن ذلك بحد ذاته لا يمنع الربَّ من أن يُخلِّصنا. فالكتاب المُقدَّس يصرّح بأننا بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ بالمسيح يسوع (أفسس ٢: ٨).

ويوجد سببان رئيسيان يبيّنان أهمية الإطار الزمني للخلق.

موضوع عصمة الوحي المُقدَّس

بدايةً، إن الإطار الزمني للخلق يحمل تَبِعَات كبيرة فيما يتعلق بعصمة الكتاب المقدس. وعصمة الكتاب المقدس تعني أن الكتاب المُقدَّس لا يحتوي أي أخطاء في نصه الأصلي. وهذا الموضوع هو ذو معنى في حال كان الكتاب في الحقيقة موحى به من الله "أنفاس الله" كما يصرّح في رسالة تيموثاوس الثانية ٣: ١٦. إن الإله الكلي القدرة والكلي المعرفة وبشكلٍ طبيعيٍّ لا يرتكب الأخطاء. وقد علم يسوع المسيح بأن كُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ (متى ٤: ٤) حتى أصغر حرف "ـ يود" أو نقطة، هي ذات سلطان مطلق وإِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ (متى ٥: ١٨).

فإن كان الكتاب المقدس معصوماً، فسيكون كذلك هو حال الإطار الزمني للخلق المُعطى في سفر التكوين. ويمكننا أن نكون على ثقة كاملة بأن الله قد خلق السماء والأرض وكل شيئ في ستة أيام. وللإيضاح فقط، إن النص الذي يقول "أَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا" (خروج ٢٠: ١١) هو من الوصايا العشر التي نقشها اصبع الله على لوحيّ الشريعة على جبل سيناء (خروج ٣٢: ١٥-١٦). ومن الأفضل أن نأخذ تلك الكلمات على محمل الجد!

ومن جانب آخر، إن لم يكن الله قد خلق كل شيء في ستة أيام، حينئذٍ سيكون الإصحاح الأول من التكوين خاطئاً وكذلك الخروج ٢٠: ١١. وإن كان هكذا قسم من الكتاب المقدس خاطئاً فحينها لن يكون الكتاب معصوماً. وبناءً على ذلك، ربما يوجد أيضاً أخطاء أُخرى في مواضع أُخرى. فإن كان الكتاب المُقدَّس مخطئاً فيما يعلّمه عن الأيام الستة للخلق، فكيف لنا حينذاك أن نمتلك الثقة بأي شيء آخر يُعلِّمَه؟

كيف نستطيع أن نثق أن أجزاءً أُخرى من الكتاب المقدس ليست خاطئة أيضاً؟

لقد صاغ يسوع المسيح إجابته بالشكل التالي "إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟" (يوحنا ٣: ١٢).

إن كنا لا نثق بالكتاب المقدس حين يتكلم عن أبسط الحقائق التاريخية، فكيف يكون ممكناً أن نثق في الأمور الروحيّة؟ الكثير من المسيحيّين يميلون إلى الإيمان بمليارات السنوات نتيجةً لثقتهم بما يعلّمه العلماء العلمانيون. لكن يجب أن لا ننسى أن المسيحيين نفسهم يؤمنون وبسهولة بكل من قيامة المسيح من بين الأموات، الميلاد العذراوي، تحويل الماء إلى خمر، والكثير الكثير من الأمور المشابهة- وهي أمور يرفضها العلماء العلمانيون.

قد يجيب بعض الأشخاص قائلين "لكن هذه الأحداث ومعجزات المسيح تتجاوز قوانين الطبيعة. ولا تنطبق عليها الإجراءات العلمية العادية." لكن لنتمهل قليلاً، أليس الخلق هو حدث مُعجزيّ؟ لقد خلق الله الكون بكلمته- وهو شيئ لا يقوم به في يومنا هذا. إن الخلق هو حدث يتجاوز العمليات اليومية للكون. فإن كنا نريد وبشكل تعسّفي أن نرفض احتمال العمل الفائق للطبيعة حين خلق الله الكون، حينئذٍ ومن باب الإتساق المنطقي، لا بد لنا من أن نرفض جميع المعجزات الأُخرى التي توجد في الوحي المُقدَّس، بما في ذلك قيامة المسيح من بين الأموات - والقيامة هي بالفعل "قضيّة خلاص" (كورنثوس الأولى ١٥: ١٤، ١٧).

إن كنا نريد أن نتَّبع خط الأفكار الذي يبتدئ برفض الخلق ذو الستة الأيام الذي يقدمه الكتاب المقدس إلى نهايته الحتمية على اساس أن الإطار الزمني ذو الستة الأيام للخلق ليس قضيّة خلاص، فإنه سيقودنا بالنهاية إلى رفض القيامة.

الخطيئة والموت

ثانياً، إن الإطار الزمني للخلق يفسر سبب وجود الموت كعقوبة للخطيئة. ونستطيع أن نرى ذلك من خلال المستحاثات المنتشرة حول العالم. فالمستحاثة هي البقايا المحفوظة لكائن حيّ، مثل عظام متحجرة لحيوان ما (كما ويوجد أنواع أُخرى للمستحاثات). وينتج هذا النوع من المستحاثات عندما يموت الحيوان ويتعرض للدفن السريع. فتتحلل الأجزاء الطرية من الحيوان ، لكن العظام تتمعدن. وهذا يعني أن المعادن تنقل إلى العظام بحيث أنَّها تملأ كل الفراغات الموجودة في بنية العظم معطية إياه وزنا أكبر من وزنه الطبيعي. فينتهي بنا الأمر بحجارة ذات شكل مماثل للعظم الأصلي.

يؤمن العلماء التطوريون بأن المستحاثات تعود لعدة ملايين من السنوات، وذلك بحسب الطبقة الصخرية التي توجد فيها. لكن هذا يحمل مشكلةً لاهوتيّةً كبيرة. فالمستحاثّات هي دليل على الموت. فإن كانت المستحاثات تعود إلى عدة ملايين من السنوات، فهذا سيعني بأن الموت كان موجوداً قبل أن يُخطئ آدم. فالجميع يتفقون على

أن الإنسان لم يوجد منذ عدة ملايين من السنوات. لكن إن كان الموت موجوداً قبل أن يُخطئ آدم، فكيف للموت أن يكون عقوبةً لخطيئة آدم؟

إن الكتاب المُقدَّس يُعلِّم بأن الموت كان نتيجةً لخطيئة آدم. فالخطيئة دخلت العالم من خلال آدم، والموت دخل كنتيجةٍ للخطيئة (رومية ٥: ١٢، ١كورنثوس ١٥: ٢١). وهذه الحقيقة هي أساس للإنجيل. لأن "أُجرة الخطيئة هي موت" (رومية ٦: ٢٣)، وكان من الضروري أن يموت المسيح على الصليب ليسدد ثمن خطايانا. لكن إن كان الموت في العالم قبل الإنسان بملايين السنين، فكيف يمكن أن يكون الموت عقوبةً للخطيئة إذا كان قد سبق الخطيئة بعدة ملايين من السنوات؟ وإن كان الموت ليس عقوبةً للخطيئة، فما هو مغزى رسالة الإنجيل؟

إن المستحاثات ليست دليلاً على الموت فحسب، إنما بعض المستحاثات تحتوي على دلائل لوجود أمراض. فقد وجد العلماء دلائل على وجود أمراض مثل التهاب المفاصل، السرطان وغيرها في المستحاثات التي يعتقد التطوريون أنها تعود إلى ملايين السنين. لكن أليس تعليم الكتاب المقدس يقول بأن الخليقة الأصلية التي كانت في عَدن - كما يصفها الوحي المُقدَّس "حسنةٌ جداً" (تكوين ١: ٣١)؟ ويظن البعض مُخطئين بأن عدنٍ وحدها كانت في تلك الحالة من الكمال في حين أن بقية العالم لم يكن كذلك. إلا أن التكوين ١: ٣١ يشير إلى أن كلَّ شيء كان حسناً جداً - وليس فقط جنة عدن. فهل يمكن لعالم "حسن جداً" أن يكون مليء بالأمراض؟ إن كنت تقبل الإيمان العلماني بأن المستحاثات تعود إلى ملايين السنين، حينئذٍ سيكون العالم الذي وصفه الوحي المُقدَّس بأنَّه "حسنٌ جداً" مليئاً بالموت والمعاناة؟

إن تعليم الكتاب المُقدَّس واضحٌ في هذا الخصوص، إن الموت قد دخل العالم كنتيجة لخطيئة آدم. ويترتب على هذا التعليم أنَّ المستحاثات لا تعود إلى ملايين السنوات؛ إنما تشكلت بعد أن أخطأ آدم. وإنه من شأن الطوفان الذي وُصف في الإصحاحات ٦-٨ من سفر التكوين أن يكون مبرّراً طبيعياً لوجود تلك المستحاثات المنتشرة في الأرض.

ليس موت البشر فحسب

هل من الممكن أن يكون الموت قد دخل إلى الطبيعة البشرية وحدها كعقوبة لخطيئة آدم؟ وهل من الممكن أن الحيوانات كانت قبل ذلك تموت؟ إن الكتاب المُقدَّس يجعل التوفيق مع هذا الأمر مستحيلاً. بالرغم من كون بعض الآيات مثل رومية ٥: ١٢ تركز وبشكل مباشر على موت الإنسان، إلا أنه يوجد آيات أُخرى مثل رومية ٨: ٢١-٢٢ تشير إلى أنّ كل الخليقة قد تأثرت باللعنة التي وضعها الرب على الأرض كنتيجة لخطيئة آدم وليس الإنسان فقط. التكوين ١: ٣١ تصرح بأن "وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا." هذه الآية تشير وبشكل مؤكَّد إلى كل الخليقة بما في ذلك

الحيوانات. فنحن حين نجد أية دلائل تشير إلى أمراض عُضال في مستحاثات الحيوانات أو إلى العنف (حيوان يقتل حيواناً آخر)، نستطيع أن نعرف وبكلّ ثقة بأن هذا لم يكن جزءاً من الحالة الأصلية للخليقة قبل السقوط والتي وُصِفَت بأنها "حسنةٌ جداً". إنما هذه المستحاثات هي أدلة على العالم الساقط- العالم الذي ارتبط بلعنة الخطيئة.

كما أن الكتاب المُقدَّس يجعل الأمر واضحاً بأن الله قد أسس لموت الحيوانات وقت خطيئة آدم وحوّاء. فاللباس الذي ألبسه الله لآدم وامرأته لم يكن من النباتات. إنما أعطاهم الله أقمصة من جلد حيوانات. فالله قد قتل حيواناً (أو مجموعة حيوانات) مُظهراً نتيجة الخطيئة. فإن موت الحيوانات ابتدأ عند السقوط.

ماذا عن موت النباتات؟ هل من الممكن أن تموت النباتات في العالم المثالي. فنحن نعرف من سفر التكوين بأن آدم وحواء (وجميع المخلوقات الأُخرى) قد أعطوا النباتات كطعامٍ لهم (تكوين ١: ٢٩-٣٠). وبالتالي فإن النباتات، أو على الأقل بعض الأجزاء من النباتات قد "ماتت" قبل خطيئة آدم. فهل هذا يعني أن الموت قد وُجد في العالم قبل أن تدخل الخطيئة؟

الكتاب المقدس لم يذكر ولا في مرة من المرات أن النباتات "حيّة". فالوحي المُقدَّس يستخدم كلمة محددة "נֶפֶשׁ تُقرأ نَفَشْ" للإشارة إلى الحياة. وهذه الكلمة قد استخدمت للإشارة إلى الإنسان والحيوانات، إلا أنها لم تستخدم لتوصيف النباتات. فوفقاً لتصنيف الكتاب المقدس إن النباتات ليس حيّة بالمعنى الحقيقي، أو على أقل تقدير ليست حية بنفس مفهوم الحياة الذي نحن أحياء وفقه. وذلك بطريقة مشابهة لقولنا إن "البطارية ميتة" فهي لم تكن حيّة وفق المفهوم البشري للحياة.

إن التصنيف الإحيائي المُعاصر يختلف عن التصنيف التوراتي. فعلماء الأحياء يشملون النباتات والميكروبات ضمن قائمة الكائنات الحيّة، علماً أنه ليس هنالك من خطأ في تصنيفهم وفق هذا الأسلوب. لكن يجب أن نكون عارفين أن الأشجار ليس حيّة بنفس المعنى الذي تكون فيه الحيوانات حيّة. فأنت قد تجلس على جذع شجرة ميتة في الطبيعة. لكن هل ستجلس على جُثّة حيوان ميت في الغابة؟ نحن نفهم أنه يوجد اختلاف نوعي بين النباتات "الحيّة" والحيوانات بوصفها بالحقيقة حية. فالكائنات الحيّة "التي في أنفها نسمة حياة נֶפֶשׁ نَفَشْ" لم تعرف الموت قبل الخطيئة.

يَدَّعي البعض وبطريقة خاطئة بأن موت (الكائنات الحيّة) هو جزء ضروري من التكوين. لكن من المنظور المسيحي، فإنه ليس عقلانياً الإعتقاد بأن الله الكلي القدرة غير قادر على تصميم حياة دون أن يستخدم الموت. فالكتاب المُقدّس يعلّمنا بأن الموت سيُهزم (١كورنثوس ١٥: ٢٦، الرؤيا ٢٠: ١٤). والأمر الأكيد هو أنه لن يوجد موت في الملكوت السماوي - وهذا نوع آخر من الإشارات إلى أنَّ الموت ليس ضرورياً للحياة.

قد يقول بعض المعترضين: "ماذا عن كثافة أعداد الكائنات. وأن بعض الحيوانات تتغذى على اللحم فقط. فلا بد أن يوجد الموت قبل سقوط آدم في الخطيئة." إلا أن المنطق المستخدم في هذا الإعتراض هو منطق خاطئ يعتمد على قراءة الواقع الحالي المرتكز إلى العالم الذي وقع تحت اللعنة. ففي يومنا الحاضر يوجد حيوانات لاحمة، لكنها في الأصل كانت كلها عاشبة (تكوين ١: ٣٠). إن الكثافة المتواجدة لبعض الحيوانات في أجزاء من العالم يعتبر مشكلة إلا أن الوضع لم يكن هكذا قبل الخطيئة واللعنة. ومن المنطقي الإعتقاد بأن الله قادر على إدارة العالم بطريقة متوازنة. ومن المنطقي أيضاً الإعتقاد بأن الله كان سيعمل على توازن التكاثر لدى الحيوانات أو إبطاء معدل تكاثرها أو ايقافه عند بلوغ الحد المناسب للاستقرار. وفي الحقيقة هذا الموضوع ليس مهماً للغاية فنحن نعرف أن آدم قد وقع في الخطيئة وحلَّت اللعنة على العالم وبالتالي فإن كل هذه التوقعات مبنية على افتراض عدم سقوط آدم في الخطيئة، وهذا ليس هو الحال.

إن الإطار الزمني للخلق هو موضوع بالغ الأهمية كونه يرتبط ارتباطاً حيوياً برسالة الإنجيل. فإن لم يكن من الممكن الثقة بتعليم الكتاب المُقدَّس عن الخلق ذو الستة الأيام، فأين هي بداية الحقيقة حينئذٍ؟ وإن كان الكتاب المُقدَّس هو كلمة الله، أليس من المنطقي أن نؤمن أنه لا يحتوي على أخطاء؟ فهل يقع الله في الأخطاء؟

وخلاصة الأمر، إن الإطار الزمني العلماني يقلل من شأن رسالة الإنجيل. فإن كانت المستحاثّات هي بالحقيقة تعود إلى ملايين السنين، حينئذٍ لا يمكن أن يكون الموت هو عقاب الخطيئة. فلماذا أرسل الله ابنه الوحيد ليتلقّى ذلك الموت المروّع على الصليب؟

إن رسالة الإنجيل تعتمد بشكل مباشر ومنطقي على التاريخ المُسجَّل في سفر التكوين.

الفصل الخامس

البداية من البداية

”بَلْ قَدِّسُوا الرَّبَّ الإِلهَ فِي قُلُوبِكُمْ، مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ“
بطرس الأولى ٣: ١٥

إن واقع هذا العالم الذي نعيش به يُسبب حالةً من القلق لدى المسيحيّين. إذ أنه يوجد مليارات من الأشخاص الذين لا يعرفون الله. وهؤلاء الأشخاصُ يهلِكونَ في خطاياهُم، متوجهينَ إلى أبديةٍ مُزريةٍ بعيداً عن حضور ومحبة الله. إنَّه واجب ورغبة قوية في الوقت عينه أن نقوم بنقل رسالة الإنجيل، وكثيرين هم من يقومون بذلك.

نحن نشهد لأصدقائنا ولجميع الأشخاص الذين نقابلهم. ونرسل البعثات التبشيرية إلى أراضٍ غريبة لنشر البشارة المفرحة في جميع البلدان وإلى جميع الأُمم. وبالرغم من كل هذا الجهد التبشيري، لايزال يوجد مليارات من غير المسيحيّين في العالم، فما هو السبب وراء ذلك؟ يمكن أن يُنسَب البعض من هذا إلى حقيقة كوننا لا نبذل الجهد الكافي! وأننا بحاجةٍ للمزيد من الخُدَّام والمُبَشّرين، وأننا أيضاً بحاجةٍ لأن نعملَ على مشاركةِ كلمةِ اللهِ مع غيرِ المؤمنينَ من أصدقائنا ومعارفنا.

لكن هذا ليس كافٍ أيضاً، فلا تزال قطعة رئيسية من الأُحجية مفقودةً.

وربما تكون الحيرة الأكبر من الأعداد الكبيرة لغير المسيحيّين والمتواجدة في الدول التي قامت على الأُسُس المسيحية كالولايات المتحدة الأمريكية. وبالرغم من ذلك الأساس المسيحيّ نجد أن المسيحية تتراجع فيها وذلك وفق المناخ الإجتماعي والسياسي.

يوجد ملايين المسيحيّين، وكمية كبيرة من المصادر المسيحية (كالمكتبات، دور النشر، المحطات الإذاعية، والبرامج التلفزيونية). فلماذا إذاً نجد أن المسيحيّة تتراجع؟ ولماذا لم تنجح الكنيسة (حتى الآن) في تلمذة العالم؟

من المؤكد أن التعليم عن التطور كان له أثره الكبير. فالتطور يقلل من شأن مصداقية الكتاب المُقدَّس ابتداءً من سفر التكوين. وتماماً كما قال يسوع المسيح لنيقوديموس ”إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟“ (يوحنا ٣: ١٢). كما ويتم تعليم الأشخاص بأنه لا يمكن الوثوق بالكتاب المُقدَّس وذلك ابتداءً من أساساته الموجودة في سفر التكوين؛ وبالتالي فإنهم لا يمتلكون

الحافز أو الأسباب الكافية للوثوق برسالة الإنجيل التي تنطلق جذورها من تلك الأساسات. وإن أحد الأسباب الرئيسية التي أفضت إلى عدم فعالية الكنيسة في أداء وظيفتها كما يجب، هو أن المسيحيّين أنفسهم لم يكونوا أوفياء في جانب محدد وهو الدفاعيات (الدفاع عن الإيمان). فالكنيسة قد قامت بالمساومة على كلمة الله عوضاً عن الدفاع عنها.

لقد عرف السيد أنه سيكون هنالك معارضة لرسالة الإنجيل. ومن طبيعة غير المؤمنين أن يرفضوا الحقيقة، وخاصة في الجزء الذي يدعوهم لأن يكونوا مسؤلين أمام الله. لذلك فإن الله قد أعطانا تعليماتٍ لأن نكون مستعدين في كل حين لأن نقدم إجابات - دفاع منطقي عقلاني - لأي شخص من المتسائلين والمتشككين، وأن نقدم تلك الإجابات بوداعة ومحبة (بطرس الأولى ٣: ١٥).

هذا ما نُطلق عليه بالمفهوم المسيحي "الدفاعيات." حيث أنَّه من المفترض أن نقوم بالرد ودحض أي جدال أو اعتراض يُقدَّم ضد كلمة الله (٢كورنثوس ١٠: ٥). يجب علينا أيضاً أن نقوم بدراسة القضايا التي تُقدَّم ضد الكتاب المُقدَّس حتى نستطيع تقديم الردّ المناسب عليها حين يقوم المتشككون بتقديمها لنا. ولكننا نجد أن الجزء الأكبر من المسيحيّين ليسوا مُستعدّين للقيام بهذا الجزء من الخدمة. فعوضاً عن الوقوف والدفاع عن سلطان الكتاب المقدس والأساسات التاريخية للسرد الوارد في سفر التكوين، يقومون بتجاهل موضوع الأُصول، أو ما هو أسوأ من ذلك - يقومون بالمساومة وتقديم التنازلات للعالم العلماني. وكنتيجة لذلك، نجد أن الكنيسة قد ضعفت بشكل كبير في أداء وظيفتها في تلمذة جميع الأُمم. فالمسيحيّون لن يكونوا قادرين على نشر رسالة الإنجيل إن لم يكون أولاً مؤمنين بها بشكل كامل، وثانياً إن لم يعرفوا كيف يقدمون دفاعاً عنها.

التعامل مع المشكلة الرئيسية وليس مع الأعراض

إننا نعيش في عالم يُقاد بالأعراض الجانبية. فعند التعامل مع أي مشكلة أو صعوبة إننا نميل إلى محاولة تخفيف الأعراض عوضاً عن التعامل مع المشكلة بحد ذاتها. لديك صداع؟ خُذ قرصاً مُسكّناً للألم. لكن الصداع ليس هو المشكلة؛ إنما هو العارض الناجم عن المشكلة. فقد تكون بحاجة لأخذ قسط كافي من النوم أو ربما أنت بحاجة لزيارة طبيب العيون للحصول على وصفة جديدة النظارات الطبية. النقطة من هذا الطرح أننا نميل إلى الحصول على الحلول السريعة عوضاً عن الحل طويل الأمد.

وبالطريقة عينها فإن الصعوبات المتواجدة في المجتمعات المختلفة (كالعنف في المدارس، الإجهاض، الشذوذ الجنسي، الجريمة، الفشل الإقتصادي، نقص الحريات، والكثير الكثير من المشاكل الأُخرى...) ليست هي المشكلة الرئيسيّة. إنها مجرَّد أعراض جانبية للمشكلة الرئيسية التي هي فقدان سلطان الكتاب المُقدَّس وذلك ابتداءاً من سفر التكوين.

بالرغم من ذلك فإننا نجد أن معظم المسيحيّين يركزون جهودهم على أعراض هذه الأمراض الإجتماعية، لكنهم لا يتعاملون مع المشكلة بحد ذاتها. فالعديد من البرامج المسيحيّة تحاول التعامل مع مشاكل مثل العنف في المدارس، الإجهاض، المخدرات وماشابه. ولكن القليل من المسيحيّين هم من يعمل على الدفاع عن المسيحيّة، ابتداءاً من التكوين. وللملاحظة فقط، لا يوجد أي مشكلة في محاولة تخفيف الأعراض؛ فمن الأكيد أننا لا يجب أن نتخذ موقفاً مضاداً للبرامج والمشاريع المسيحية التي تتعامل مع المشاكل الإجتماعية مثل الإجهاض وغيرها، كما هو الحال مع الأسبيرين لتخفيف الصداع. النقطة التي نحاول الوصل إليها أننا يجب ألا نحدّد جهودنا بالعمل على الأعراض. يجب أن نتعامل مع المشكلة التي هي الهجوم على الكلمة الإلهية في الوحي المُقدَّس ابتداءاً من سفر التكوين.

إن المفتاح لحل مشاكل عالمنا هو تعليم الناس بأنهم قادرين على الوثوق بسلطان الكلمة الإلهية. فالكتاب المُقدَّس مصدر موثوق في كلّ ما يقدمه من التعليم. وعلى المسيحيّين أن يقوموا بدحض الحُجَج الزائفة التي يقدّمها المعاندين، وأن يظهروا مدى سُخف الأفكار التطورية من الناحية العلمية، بالإضافة إلى إظهار الإفلاس الفلسفي والمنطقي للأفكار العلمانية، والدفاع عن الكتاب المُقدَّس من أساساته في سفر التكوين. فحين يمتلك الناس أسئلة منطقيّة عن الكتاب المقدس، فإن واجبنا هو دراستها وتزويدهم بإجابات عليها. وحين يقوم المعترضين بالمُحاجَجة والجدال حول نسختهم من الأصول، نقوم بوداعة ومحبة بالإشارة إلى مدى سُخف موقفهم.

هل يوجد لديكم أي شكّ بأن الله سيستخدم هذا لجذب الملايين من الناس إلى الخلاص؟ سيكون من السهل أن نعاين الأُمم تعود مرّة جديدة إلى الله، ذلك إن قام المسيحيّون بالعمل على إنجاز الواجب الذي كلفهم به الرب سابقاً.

الإنطلاق من نقطة الإنطلاق

إنها ليست مجرّد مصادفة أنَّ الكتاب المقدس يبدأ بسفر التكوين. إذ أنَّه دون سفر التكوين لا يوجد لدينا أي مُبرر للتعاليم المسيحيّة.

لماذا مات المُخلِّص على الصليب إن كان آدم لم يوجد؟ ما هي الخطيئة إن لم يوجد حدث السقوط؟ ما هو الزواج دون آدم وحواء؟ إن الوحي الإلهي قد أعطانا الأساس التاريخي في سفر التكوين حتى نستطيع أن نفهم أساسات المبادئ والتعاليم المسيحيّة. لكن بما أن ذلك التاريخ قد تعرض للكثير من الهجمات في مجتمعاتنا المعاصرة، فنحن نرى التزايد في عدد الأشخاص الرافضين للمبادئ المسيحية المُرتكزة على سفر التكوين. ليس من المفاجئ أن نلاحظ تزايداً في عدد الأشخاص الذين يحاولون إعادة تعريف الزواج ويحاولون أيضاً إبقاء الله خارج الحياة العامة.

لذلك فإننا إن أردنا أن نحافظ على الأخلاق المسيحية، لا بد أن نبدأ من البداية، من سفر التكوين.

حين نشاهد بعض المسيحيّين يحاولون الدفاع عن الإيمان المسيحي قد يحضر إلى الصورة أحد برامج المسابقات المشهورة في الولايات المتحدة والمدعو "جيوباردي". حيث أن هذا البرنامج قد قام بأمر معاكس للنظام المستخدم في برامج المسابقات بالعادة، حيث يتم تزويد المتسابق بالإجابة ويتوجب عليه أن يقدّم السؤال الصحيح. فإن كلّ مشارك في المسابقة يجب أن يبتدئ إجابته بعبارة مثل: "من هو ـــــ؟" أو "ما هو ـــــ؟" إنها نوع من المسابقات العكسية، لكن كذلك هو حال الكثير من المبشرين المسيحيّين البسطاء. فالمسيحيّين قد يقولون أشياء مثل "المسيح هو الحل!" لكن العالم سيجيب "ماذا كان السؤال؟"

إن التعاليم المسيحية هي ذات معنىً في ضوء تاريخيّة سفر التكوين، لكنها لا تحمل أي معنىً فيما إذا كان التطور صحيحاً. لكن معظم التطوريّين لم يتعلموا عن التكوين. فإنهم يؤمنون بنوع من التطور الذي بدوره لن يشكّل أساساً سليماً لرسالة الإنجيل. وإن الأثر سيكون ضعيفاً لدى الناس عند إيصال رسالة الإنجيل (البشرى السّارة) إن لم يكونوا يفهمون الأخبار السيئة (أي أن الجنس البشري قد ضلَّ نتيجةً لخطية آدم).

فما الذي سيحدث إن لم تبدأ من سفر التكوين؟ فلنتأمل معاً بهذا المثال. حين يسمع الأشخاص غير المؤمنين عبارة مثل "ضع ثقتك في المسيح فتَخلُص"، من المُعتاد أن تكون إجابتهم تحمل إحدى العبارات التالية "ما الذي سأخلُص منه؟ أنا أُسَيّر أموري بشكل جيّد. ومن هو يسوع هذا؟ ألم يكن أحد المعلّمين القدماء أو الرسل القدماء؟ ولماذا أثق به وليس بأحد آخر من الرسل مثل بوذا أو محمد؟" سيجيب المسيحي، "آمن بالمسيح يسوع، وسوف تذهب إلى الفردوس حين تموت." سيجيب غير المؤمن "لماذا يجب أن اؤمن بذلك. أنا شخص جيد. لم أقتُل أي شخص، ولا أخون زوجتي. وبالتالي أعتقد أن الله سوف يأخذني إلى الفردوس. وبالمناسبة، ألم يقم العلماء بإبطال الكتاب المُقدَّس؟"

إن هذا النوع من الإجابات متكرر ومعتاد في المجتمعات التي لا تمتلك الفهم الوافي للإله كخالق. إن الله هو فائق القداسة والعدل، أما الخطيئة فهي خيانة عظيمة لملك الملوك وربّ الأرباب. والله لن يكون كُلِّيَ القداسة إن سمح للخيانة أن تمرّ دون عقوبة. وسفر التكوين يُعلّمنا أن خطيئة واحدة هي كافية لتجعلنا غرباء عن علاقة الشركة التي لنا مع الخالق. وهذه الخطيئة لا يجب أن تكون زنىً أو قتل. فإن كل ما فعله آدم كان هو الأكل من شجرة. لكن ذلك الفعل كان خيانة إذ أنَّه كان ضد أمر الله. والعقوبة المُقرَّرة كانت الموت. إن جمال رسالة الإنجيل هو أنَّ الإله قد أخذ عقوبتنا حاملاً إياه بجسد بشريّته معلقا إياها على الصليب ليعطي الحرية والخلاص من لعنة الخطية لكل من

يؤمن ويضع ثقته ورجاءه عليه. هذا هو ملخَّص رسالة الإنجيل. هذه هي الرسالة أعلنها الله أولاً في سفر التكوين.

اليونانيّين واليهود والعالم المعاصر

إنّ اليهود الذين كانوا في أيام خدمة يسوع الأرضية قد فهموا سفر التكوين، وبالتالي فإنهم قد عرفوا بحاجتهم إلى مُخلِّص. إلا أن عدد كبيراً منهم لم يُدرك الحقيقة بأن يسوع المسيح كان هو ذلك المخلِّص. إن تلك الحقيقة بأن المسيح يسوع هو المُخلِّص المُنتَظَر كانت "حجر عثرةٍ" لهم. أما من جانب آخر، فإن اليونانيّين في ذلك الوقت لم يكن لديهم معرفة عن سفر التكوين في معظم أجزاءه. فقد آمنوا بعالم بالغ القِدَم ولم يكن لديهم أي معرفة عن مفهوم الخطيئة الأصلية أو اللعنة. حقيقة الأمر أنّ إيمانهم يشبه إلى حدٍّ كبير إيمان التطوريّين المُعاصرين. وبالتالي فإن اليونانيّين لم يكونوا بانتظار مُخلِّص. ولم يدركوا أنهم بحاجة لمُخلِّص. بالنسبة لهم إن رسالة الإنجيل لا تحمل أي معنى. والكتاب المقدس يفسر ذلك في رسالة كورنثوس الأولى ١: ٢٣ " وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!".

في أعمال الرسل ٢: ١٤-٤١، نقرأ سرداً قام بطرس الرسول من خلاله بتقديم رسالة إلى اليهود غير المؤمنين. بطرس كان قد فهم أن اليهود يعرفون التكوين، ويعرفون عن الخطيئة الأصلية، وأنهم يعرفون بأن أُجرة الخطيئة هي الموت وبأننا جميعاً نستحق الموت والإنفصال عن محبة الله، كذلك يعرفون بالوعد بالمخلّص الذي سيخلّصهم من خطاياهم، وبالتالي فإن بطرس قام بتقديم دفاعٍ منطقي مبيّناً لهم أنَّ يسوع هو بالحقيقة المُخلِّص المُنتَظَر. وكان كلّ ما فعله بطرس هو مساعدتهم على تجاوز حجر العثرة.

ومن جانب آخر نقرأ في أعمال الرسل ١٧: ١٨-٣٤ أن بولس الرسول كان يُبشِّر فلاسفة اليونانيّين وَسْطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ. ولم يكن لدى هؤلاء اليونانيين المعرفة الأساسية عن التكوين، إنما كانوا يمتلكون نوعاً من الأساسات الخاطئة لنوعٍ من الفلسفات التطورية، وقد كان بولس على علمٍ بهذا.

لذلك ابتدأ من التكوين.

إن بولس قدّم إلى الحاضرين تفسيراً عن طبيعة الله مشيراً من خلاله إلى أنَّ الله هو الخالق الذي خلق السماوات والأرض (أعمال ١٧: ٢٤) وبأن الله هو صاحب السيادة والسطان على كلّ التاريخ البشري، وبأننا جميعاً من رجلٍ واحد (أعمال ١٧: ٢٦). ولم يقم بولس بتعليمهم عن سفر التكوين فحسب، إنما قام بدحض تعاليم اليونانيّين البديلة. لقد أظهر لهم أنَّ آلهة اليونانيّين ليست آلهة حقيقيّة، فهي موضوعة في هياكل مصنوعة بأيدي الناس، وليس لها السلطان أن تخلِقَ أو تسيطر على العالم (أعمال ١٧: ٢٤-٢٥). كما أنه قد عرض لهم عدم الإتساق والتعسف الذي يطغى على طريقة تفكيرهم مستبدلاً

نظرتهم الخاطئة عن الأصول بالتاريخ الحقيقي المسجل في سفر التكوين. وفقط بعد هذا العمل التأسيسي انتقل الرسول بولس بعد ذلك ليخبرهم عن ضرورة التوبة، وفي النهاية نقل لهم البشرى السّارة بقيامة المسيح (أعمال ١٧: ٣٠-٣١).

إن الاستراتيجية التي استخدمها بولس الرسول مع جمهور المستمعين من ذوي الإطلاع العلمي والمثقفين اليونانيّين كانت قد اعتمدت على هدم نظرتهم الخاطئة إلى العالم واستبدالها بالحقيقة عن الخالق.

من الغريب أننا نجد أن البعض من المسيحيّين قد أخذوا رسالة خاطئة تماماً من أعمال ١٧: ١٨-٣٤. فيقولون أن الرسالة والأسلوب الذي اتبعه بولس لم يكن ذو فعالية، إذ أن الأشخاص الذين آمنوا بعد ذلك المجهود لم يكن كبيراً. ويقولون بأن بطرس كان ذو تأثيرٍ وفعاليةٍ أكبر إذ أنه وفق الإصحاح الثاني من أعمال الرسل نجد أنه قد آمن ثلاثة آلاف شخص وخَلُصوا. وفي النهاية يأتون إلى نتيجة بأنَّ رسالتنا التبشيرية يجب أن تتبع أسلوب بطرس وليس أسلوب بولس. لكن أليس هذا إغفالاً لجانب أساسي من المعنى المتضمن في الآيات؟

إن بولس الرسول كان يُبشّر جماهير معادية للكتاب المُقدَّس ورافضة للتكوين. في حين أن بطرس كان يُبشر اليهود الذين يؤمنون بالكتاب المُقدَّس! إن الجمهور الذي واجهه بولس كان أقسى وأشدَّ، ومن غير المنطقي توقّع أن يؤمن جمهور كبير من الأُمم ويكون مساوياً أو قريباً من الذين سيؤمنون من أهل الختان، وخاصةً في ضوء ما يعلّمه الوحي المقدس في رسالة كورنثوس الأولى ١: ٢٣.

إن الرسول بولس كان ناجحاً جداً لكن هذا لا يعني أن الجميع يجب أن يستجيبوا لرسالته. فالبعض من الحاضرين قد ازدرى وسخر من الرسالة، في حين أن البعض الآخر قد طلب أن يسمع المزيد (أعمال ١٧: ٣٢). والأمر اللافت هو أن عدداً من الحاضرين قد قبل الرسالة وآمنوا بشكل فوريّ (أعمال ١٧: ٣٤). وبالقياس إلى مدى تعنّت المستمعين فإن بولس كان ناجحاً بامتياز.

فلنتأمل في عصرنا الراهن، هل المستمعين المعاصرين لرسالة الإنجيل يشابهون اليهود الموصوفين في الإصحاح الثاني من أعمال الرسل أم أنهم أقرب إلى اليونانيّين الموصوفين في الإصحاح السابع عشر؟ هل تؤمن الغالبية العظمى من الناس بالتاريخ المُسجَّل في سفر التكوين، أم أنها تؤمن ببديل تطوريّ ما؟ من الواضح أن عالمنا المعاصر يشبه المستمعين اليونانيّين. لنتأمل أيضاً بنوعي الرسالة التي نستمع إليها بالعادة، ماذا كان موضوع آخر خمس عِظات استمعت إليها في الكنيسة؟ هل كان أي منها يقدم لك التعليم عن كيفية دحض التعاليم غير الكتابية؟ هل قدمت لك الأدوات المناسبة وهيّأتك للدفاع عن الإيمان بكلّ ثقة، لتهدم كل جدل غير مسيحيّ وتكون قادراً على مشاركة إيمانك مع "اليونانيّين" الذين لا يمتلكون المعرفة عن الله الخالق؟ إن كان

الوضع كذلك، فأنت مباركٌ إذ أنك عضو في كنيسة صالحة وتتلقى تعليماً نادراً ما يتم تقديمه.

التبشير المسيحي يتخذ أشكالاً متعددة، والأمر الأكيد أنه ليس من خطأ في استعمال أسلوب التبشير الذي استخدمه بطرس في أعمال ٢. فالبعض من الأشخاص هم بحاجة للاستماع إلى هذا النوع من التبشير. إذ أن البعض من الأشخاص يؤمنون بالخلق ويمتلكون معرفة بماهيّة الخطيئة ويعرفون بحاجتهم إلى مُخلِّص. إن حالة هؤلاء تشبه حالة اليهود الذين تعامل معهم بطرس الرسول في الإصحاح الثاني من أعمال الرسل ويجب أن نستعمل نحن معهم نفس الأسلوب في التبشير. لكن يجب أن نميّز أيضاً أن القسم الأكبر من الأشخاص في أيامنا هذه يتشابهون مع اليونانيّين الذين تعامل معهم بولس الرسول في وَسْطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ. وهم بحاجة إلى أن يتم فضح خطأ نظرتهم التطورية، بعد ذلك أن يتمّ تقديم المعرفة الأساسية عن التكوين لكي يكونوا قادرين على فهم رسالة الإنجيل. وخاصةً في مجتمعاتنا المعاصرة حيث أنه من أجل أن تكون كرازتنا فعّالة يجب أن نقدم بعض الدفاعيات أولاً.

لم تكن هذه القضية إشكالية في الماضي كما هي اليوم، فكثير من المجتمعات الحديثة قد نشأت وتأسست على القيم المسيحيّة. وكنتيجة لهذا فإننا نرى أن معظم التاريخ الثقافي والحضاري كان مترابطاً مع الثقافة والتعاليم المسيحيّة. فمعظم الأمريكيّين مثلاً كانوا يواظبون على الحضور إلى الكنائس ويعترفون بالإيمان المسيحيّ. حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يكونوا مسيحيّين، كانوا يتعاملون باحترام مع الكتاب المقدس ومبادئه. وسيكون من المنصف القول أنه في الفترات الماضية كانت الولايات المتحدة وغيرها من الأمم المسيحية المنشأ تتشابه مع اليهود الموصوفين في الإصحاح الثاني من أعمال الرسل أكثر من تشابهها مع اليونانيّين الذين في الإصحاح السابع عشر.

في الحقبة الماضية ـ استطاعت الكنيسة وبسهولة أن تقدم الوعظ "بالمسيح المصلوب". ذلك أن معظم الناس يؤمنون بالخلق ويمتلكون معارف أساسية عن الكتاب المُقدَّس، لذلك كان التبشير والوعظ فعالاً من خلال مساعدتهم على تجاوز "حجر العثرة". حتى في القرن العشرين، كنّا قد رأينا خلاصاً جماعياً للملايين من الأشخاص الذي أتوا إلى الإيمان بالمسيح من خلال الحملات التبشيرية التي انطلقت إلى أنحاء مختلفة من العالم. فالرسالة التبشيرية التي في الإصحاح الثاني من أعمال الرسل هي ذات فعالية حين تُستَعمَل مع جمهور يتشابه مع الجمهور الذي كان حاضراً هناك.

هذه هي النقطة الرئيسية، فكل واحد منا يجب أن يضع في اعتباره نوعية الجمهور المُستهدف من الوعظ والتعليم والكَرَازة الذين يقدّمهم.

إن حضارتنا في هذه الأيام المعاصرة تتشابه كثيراً مع اليونانيّين المذكورين في الاصحاح السابع عشر من أعمال الرسل. فالكثيرون يرفضون سفر التكوين ويتبنّون

الأفكار التطورية كتفسير لموضوع الأصول. وبالتالي فالعديد منهم ليسوا مُهتمّين بالاستماع إلى رسالة التبشير التي في الإصحاح الثاني من سفر الأعمال. إنهم يريدون الدليل. ويحتاجون أن يُقدَّم لهم دفاع عن الإيمان المسيحي (١ بطرس ٣: ١٥) ليُستخدم كجسر للعبور إلى التبشير. إن الإقرار والإعتراف بأن جمهورنا المعاصر هو أقرب إلى أن يكون مثل المتشككين اليونانيّين الذين كانوا في أيام بولس الرسول سيساعدنا جميعاً على إيصال رسالة الإنجيل بطريقة يكونون قادرين على استيعابها.

إن عظة بولس الرسول في أعمال الرسل ١٧ هي مثال ممتاز يجب أن نحذو حذوه فنعمل على شرح رسالة الإنجيل من بدايتها في سفر التكوين لجمهور "اليونانيّين" المعاصرين. ويجب أيضاً أن نكون مستعدين لإجابة أي شخص يقدّم تحدّياً لكلمة الله، لنكون مُجاهرين علانيةً، مقدّمين الردود العقلانية التي تتعامل مع حضارتنا "اليونانية" المُعاصرة. وإن اتباع النموذج الكتابي للتعليم سوف يقود وبدون أدنى شك إلى أن الملايين من الجماهير سوف تكون قادرة على فهم رسالة الإنجيل والإعتراف بالله كمخلّصٍ وخالقٍ وملكٍ على حياتهم.

آمين.

الفصل السادس

أهميّة سفر التكوين

"أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا"
إشعياء ٤٣: ٢٥

إن سفر التكوين ليس مجرّد مجموعة من القصص الأخلاقية أو الخرافات التي تتناول موضوع الأُصول. إنما هو سفر يضع الأساسات التي تستقر عليها بقية أسفار الكتاب المقدَّس. وسفر التكوين ضروري لفهم الله كخالقٍ، وقاضٍ، ومخلّصٍ لنا. وكل العقائد المسيحيّة الحيوية تجد جذورها في سجلات سفر التكوين. ويجب علينا أن نكون على حرص حين نتعامل مع أول سفر من الأسفار الإلهية كحرصنا في التعامل مع سفر التثنية أو الملوك أو المزامير أو البشائر (الأناجيل).

إن أهمية سفر التكوين هو أنَّه سفرٌ موحى به من الرب الإله. فمؤلّف الكتاب المُقدَّس بأكمله قد ابتدأ إعلاناته في سفر التكوين وأنهاها في سفر الرؤيا. ويجب علينا ألا نستخف بالطابع المُقدَّس لسفر التكوين.

إن أهمية سفر التكوين هي في أنه يقدم سرداً تاريخياً حقيقياً. وكل من القواعد العبرية والمصطلحات وبناء الجمل والسياق الأدبي تحدد أنه تسجيل تاريخي. وليس من مكان لتفسير سفر التكوين على الأساس الرمزي الذي يصور إلهاً مرتبكاً. إذ أنَّ نص سفر التكوين لن يسمح بهذا النوع من التفاسير غير الدقيقة أو الفضفاضة، وكذا تفعل بقية الأسفار المقدَّسة.

إن أهمية سفر التكوين هي أنَّه سفرٌ ضروري للتعرف على الله. ولن تكون معرفتنا وافية عن الله إن لم ندرس سفر التكوين بعناية وحرص. فالله أراد أن يُعرِّف البشرية بأنَّه في البدء خلق السماوات والأرض. إن كل من تفرّد الحياة الإنسانية، علاقة الشركة مع الله، نموذج الزواج، دخول الخطيئة إلى العالم، نتائج الموت، وديونة الله العادلة هي سمات من سفر التكوين توجه كل إنسان نحو معرفة الله، ومن خلال معرفتنا للخالق سنعرف المخلِّص.

إن أهمية سفر التكوين تظهر بشدة في عصرنا الراهن إذ أن حضارتنا تعمل على استبعاد الله من جميع أفكار وجوانب حياتنا البشرية. فالحكومات تُنكر الله. والمدارس تتجنب الحديث عنه. العلوم العلمانية تستهزئ بالذات الإلهية. كما أن الكثير الكثير من الكنائس تشوّه حقيقة كون الله هو الخالق من خلال البدع والهرطقات التي تدعو إلى إنكار الحقائق التاريخية المدوّنة في سفر التكوين. الخُدّام والكهنة والقساوسة يتجاهلون

رسالة سفر التكوين متبنين مذاهب العلماء الليبراليّين الذين ينكرون أن آدم وحوّاء كانا شخصيتان تاريخيّتان، ويعتبرون أنَّ السقوط في الخطيئة كان رمزياً، وبأنَّ الطوفان الذي حدث في أيّام نوح كان مجرد دفقة من المياه وقعت في بلاد ما بين النهرين.

الآن هو الوقت لكي ينتفض أُناس الله ويقوموا بالعمل الشاق الموكل إليهم بتقديم الإجابات للمعترضين، مُتَبَنّين الرسالة الكاملة للوحي الإلهي، ابتداءاً من سفر التكوين، من أجل الدفاع السليم عن الكتاب المُقدَّس وإقناع الناس بكلّ وداعة وتواضع على أمل أن يخلصوا.

المجد لله

نصلي أن يكون هذا العمل البسيط سبباً ودافعاً لكم للبدء في دراسة يومية للغوص في أعماق كلمة الله، للتعرف على الرب الإله الذي أعلن عن طبيعته وعن الخلاص الذي أعدَّه وأتمَّه ووهبه لنا مجاناً.

إن هذا العمل مبني على دراسات قام بوضعها الدكتور جيسون لايل ضمن قالب سهل الفهم وواضح، وقد تمَّ الحصول على إذن شخصي منه لاستخدام هذه المعلومات وهي متوفرة من خلال مدوّنته الشخصية: biblicalscienceinstitute.com.

يوجد العديد من الدراسات الإضافية القيّمة التي قام بوضعها كل من الراحل د. غريغ باهنسن والدكتور كين هام والتي يمكن الوصول إلى الكثير منها من خلال محركات البحث أو من خلال زيارة الموقع الرسمي للدكتور هام Answersingenesis.org.

لا ترددوا بإرسال استفساراتكم و تساؤلاتكم من خلال البريد الإلكتروني التالي:
info@reasonofhope.com

ندعوكم لزيارة موقعنا الإلكتروني www.reasonofhope.com للتعرف على الكثير من المواضيع العلمية والتوراتية، كما يمكنكم الحصول على عدد من الكتب المميزة التي نعمل على انتاجها، والتي سوف تساعدكم على تقديم إجاباتٍ للكثير من الأسئلة الإيمانية.

صلّوا لأجلنا.
فريق عمل في البدء.

ReasonOfHope.com